يوم القيامة

عبد الرزاق نوفل

الناشر
المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع

عبد الرزاق نوفل

يوم القيامة

الناشر
المركز الثقافي العربي
للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية . القاهرة
ميدان المشهد الحسيني

بســم الله الرحمن الرحيم

« اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ليَجْمَعَنَّكُم إِلى يَوم القِيَامةِ لاَ رَيبَ فِيه وَمن أَصدَق مِنَ اللهِ حَديثا) .

« ٨٧ سورة النساء »

اهـداء

لإهداء .

إلى الذين يتفكرون فى يوم القيامة .. مشاركة لهم فيما يتفكرون فيه .

إلى الذين تلهيهم الحياة الدنيا عن التفكر فى يوم القيامة دفعة لهم على التفكير فيه ..

ودعوة للعمل من أجل يوم القيامة .. لا ريب فيه ..

لعلنا ننجوا من شر ما فيه ..

وننال خير ما فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(قُل اللهُ يُحييكُم ثُمَّ يُميتكُم ثُمَّ يَجْمَعكَم إلى يَوم القيَامَةِ لَا رَيب فِيهِ وَلَكِن أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ) .

(٢٦ سورة الجاثية)

يعيش الإنسان حياته الدنيا ثم يموت ليحيا حياته الأخرى ثم يبعث يوم القيامة .. فكأن يوم القيامة هو ما نسعى إليه جميعاً .. وكل تطور يقع من حياة إلى موت إلى بعث ونشور إنما ليصل الإنسان إلى اليوم المعهود ..

وكل خوف للإنسان من الموت إنما هو فى الحقيقة خوف من البعث .. خوف من القيامة . فهو اليوم الذى يجتمع فيه الناس جميعاً للحساب ، وإذا كان العدل فى أبسط صوره وأول مظاهره يقضى بأن يجازى كل إنسان بما عمل بلا جور أو ظلم فكيف بالعدل الآلهى والحساب الربانى .. حقاً صدق الله العظيم الذى يقول عن هذا اليوم فى قرآنه الكريم .

(لا ظُلمَ اليومَ) ..

(١٧ سورة غافر)

وإذا تخيل الإنسان كيف سـ[illegible] م ؟ .. وكيف يجمع الناس من آدم حتى آخر مـ[illegible] وكيف أن كل ما حاول الإنسان أن يخفيه طوال حياته الدنيا قد أصبح منشوراً واضحاً .. بصورته .. وعلى هيئته .. بل وبصوته .. هل يسعفه الخيال .. أى خيال ..؟ ! وإذا تصور الإنسان قدر هذا اليوم .. وما فيه .. وما هو عليه . كيف تكون الصورة ؟ .. بل هل تصدق الصورة .. ؟

إن القرآن الكريم قد أورد بعض ما سيكون عليه هذا اليوم .. وأوضح جزءًا من صورته .. وأظهر شيئاً من هيئته وبعض ما جاء به وصل العالم إليه فى آخر أبحاثه وفى أعلى وثباته فإن ماوفق العلم إليه خاصاً بالإنسان وجسده وروحه وعمله وقوله فى الدنيا يشير إلى حقائق عن يوم القيامة قال بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من أزمان ..

وكشأنى دائماً معك ياقارئى العزيز أن أعرض عليك كل ما وصلت إليه فى دراساتى فى العلم والدين لعلك تتابعها وتصل فيها إليه من بحث عن يوم القيامة .. لتكون على أى حال تذكرة تشدنى وإياك إلى الآخرة فنعمل لها .. وتدفعنا إلى الإيمان فنحافظ عليه .. وتدعونا إلى الدين فنتمسك به ..

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يرحمنا .. ويغفر لنا .. ويخفف لنا فى حسابه .. وينجينا من عذابه .. ولا يخزنا عند العرض عليه يوم القيامة .

(رَبَّنا إِنَّنَا سَمعنا مُنَاديا يُنَادى للإيمان أَن آمِنُوا بِربَكُم فآمنَّا رَبَّنَا فاغفر لَنَا ذنوبَنَا وَكَفِّر عنَّا سَيئَاتنَا وَتوفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ . ربنَا وآتنَا مَا وَعدتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخزِنا يَوم القِيَامَةِ إِنَّك لا تُخْلِفُ الميعَادَ)

(۱۹۳ - ۱۹٤ سورة آل عمران)

(صدق الله العظيم)

عبد الرزاق نوفل

۸۰ شارع قصر العينى القاهرة

أُسماء وصفات يوم القيامة

إن يوم القيامة من الغيب الذى طالبتنا الأديان جميعاً بالإيمان به والعمل من أجله والاستعداد له.. وهو لا بد واقع فى مستقبل . قرب أو بعد .. وبذلك فلا سبيل إلى دراسته أو الوقوف على بعض مظاهره أو صوره إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم . ومحاولة الربط بين آيات القيامة وما وصل إليه العلم من حقائق فى قطاع ماوراء الطبيعة .. لا سيما فيما يخص .. الروح .. والجسد .. وما يجرى عليهما بالموت .. استعداداً لعودة أخرى .. فى يوم .. هو يوم القيامة .. وقد اهتم القرآن الكريم بيوم القيامة .. اهتماماً يتضح قدره من تخصيصه لسورة كاملة باسمه هى سورة القيامة وإطلاق بعض أسمائه وصفاته على سور أخرى كسورة الواقعة وسورة التغابن وسورة الزلزلة وسورة القارعة بل والقسم به قسماً مؤكداً بالنص الشريف :

(لَا أُقْسِمُ بيومِ القِيَامَةِ)

(١ سورة القيامة)

كما يتضح مدى اهتمام القرآن الكريم بيوم القيامة فى كثرة ما ذكرت السور الشريفة عنه فلا تكاد تخلو سورة من التصوير له أو الإشارة إليه أو الحديث عنه أو التعريف به الأمر الذى لابد معه أن يستجيب كل إنسان لداعى القرآن الكريم فيحاول قدر استطاعته أن يدرسه ويتأمله

ويتخيله ويقف على بعض ما سيكون عليه .. فلعل فى هذا التخيل ما يدفع الإنسان إلى الاستعداد له والعمل من أجله..

ولقد أورد القرآن الكريم - إثارة كذلك لاهتمام الإنسان بدراسة يوم القيامة - كثيراً من أسماء وصفات يوم القيامة لو تدبرها الإنسان واستوعب معانيها لوضحت له نوعاً ما صورة يوم القيامة .. فقد تكرر لفظ يوم القيامة فى القرآن الكريم سبعين مرة فى مثل النص الكريم :

(فاللهُ يَحْكُم بينهمْ يَوْمَ القِيامَةِ فيمَا كَانُوا فيه يَخْتِلفُون)

(١١٣ سورة البقرة)

ولا شك أن لفظ يوم القيامة ظاهر الدلالة وواضح المعنى بما لا يحتاج معه إلى أى تفسير أو بيان فهو يوم القيام .. قيام الساعة التى يفصل فيها كل أمر بالنص الشريف :

(وَيومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يوَمَئِذ يَخسَرُ المُبطلُونَ) .

(٢٧ سورة الجاثية)

وقيام الناس جميعاً لله سبحانه وتعالى وذلك بالنص الكريم :

(يَوم يقومُ الناسُ لرَبِّ العَالَمينَ)

(٦ سورة المطففين)

وقيام الملائكة بما فيهم الروح الأمين .. أمين الوحى .. جبريل عليه السلام وذلك بنص الآية الشريفة :

(يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلاَئِكَةُ صَفًّا لا يتكلمونَ إلاَّ مَن أَذِنَ لهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) .

(٣٨ سورة النبأ)

ولا شك أنه بقيام ذلك كله يكون قيام الحساب .. فإن من ضمن القيام يوم القيامة قيام الحساب وذلك بالنص الشريف :

(رَبَّنَا اغفر لِى وَلوَالِدَىَّ ولِلْمُؤمنِينَ يَوم يَقُومُ الحسابُ)

(٤١ سورة ابراهيم)

ولذلك فإن يوم القيامة يسمى أيضاً بيوم الحساب وذلك بالنص الكريم :

(هَذا مَاتُوعَدُونَ لِيومِ الحِسَاب) .

(٥٣ سورة ص)

يلقى فيه كل إنسان حسابه بنص الآية الشريفة :

(إنى ظننت أنى مُلاَق حِسَابِيَه)

(٢٠ سورة الحاقة)

ويكون الحساب عن طريق إخراج كتاب لكل إنسان فيه كل ما عمله.. من قول أو عمل.. أو حتى من نية.. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

(وَكلَّ إنسَان أَلْزمنَاهُ طَائِرهُ فى عُنُقِهِ ونُخرجُ لَهُ يَومَ القيَامَةِ كِتَاباً يلقَاهُ منشوراً).

(١٣ سورة الإسراء)

ويتم لكل إنسان حسابه بعمله.. وعمله فقط وهذا هو العدل المطلق إذ لا ظلم فى يوم القيامة إطلاقاً ولذلك حرص القرآن الكريم على تأكيد هذه الحقيقة عن يوم القيامة بالنص الشريف:

(لَا ظُلمَ اليَوْمَ).

(١٧ سورة غافر)

فيوم القيامة هو اليوم الذى لا ينفع الإنسان فيه ماله أوبنوه بالنص الشريف:

(يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنونَ)

(٨٨ سورة الشعراء)

لا يجزى عن الإنسان غيره.. مهما كانت درجته به.. لاولد يجزى عن والده ولاوالد يجزى عن ولده بنص الآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَاخْشَوْا يَوماً لا يَجزِى وَالِدٌ عن وَلَدِهِ وَلَا مولُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا) .

(٣٣ سورة لقمان)

ولن يشفع للإنسان نسبه ولا من أنجب بالنص الشريف :

(لَن تَنفَعَكم أَرحَامُكم وَلاَ أَولاَدُكْم يَومَ القِيَامَةِ يَفصِلُ بينكُم) .

(٣ سورة الممتحنة)

ولأن الوزن يوم القيامة هو الحق فإن يوم القيامة يكون يوم الوزن الحق وذلك فى ضوء الآية الكريمة :

(وَالوَزنُ يَومَئِذ الحَقُّ)

(٨ سورة الأعراف)

ولما يتم فيه من حساب للناس وقضاء بينهم وجزاء لهم ووفاء كل مدين لدينه .. وحصول كل دائن على ماله .. يجعل يوم القيامة هو يوم الحكم وذلك بالنص الشريف :

(فاللهُ يَحكمُ بينَكُم يَومَ القِيَامَةِ)

(١٤١ سورة النساء)

وهو كذلك يوم القضاء حسبما تشير الآية الكريمة :

(إِنَّ ربَّكَ يَقضِى بَيْنَهم يوم القيَامَةِ فيمَا كَانُوا فيهِ يَخْتَلفُونَ)

(٩٣ سورة يونس)

ويوم الجزاء من واقع النص الكريم :

(اليوم تُجزى كلُّ نفس بما كسَبت)

(١٧ سورة غافر)

ويوم الوفاء بالنص الشريف :

(يَومَئِذ يوفيهِم الله دِينهم الحَقَّ ويَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحَقُّ الْمُبِين)

(٢٥ سورة النور)

وكذلك سمى يوم القيامة بيوم الفصل حيث يفصل بين أهل الحق وأهل الباطل ويفصل بين العمل الطيب والعمل السيِّ وذلك بنص الآية الشريفة :

(إِنَّ يَومَ الفَصلِ مِيقَاتُهُم أجْمَعِينَ)

(٤٠ سورة الدخان)

وسميت القيامة لذلك بالحاقة وهى الواقعة حقاً .. وبالحق .. والتى تحق فيها الأمور وذلك بنص الآيات الكريمة :

(الحَاقَّةُ . مَا الحَاقَّةُ . وَمَا أَدرَاكَ مَا الحَاقَّةُ) .

(١ - ٣ سورة الحاقة)

وأُطلق على يوم القيامة لذلك يوم الحق وذلك بنص الآية الشريفة :

(ذلكَ اليَومُ الحَقُّ فَمن شَاءَ اتخَذَ إلى رَبِّه مَآبًا)

(٣٩ سورة النبأ)

وكذلك يطلق عليه لنفس سبب الحساب والجزاء يوم الدين وذلك بالنص الشريف :

(وَمَا أَدرَاكَ مَا يَومُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدراكَ مَا يَومُ الدِّين)

(١٧ ، ١٨ سورة الانفطار)

ويوم القيامة هو يوم الجمع لا شك وذلك بنص الآية الكريمة

(وَتُنذرَ يَومَ الجمع لَاريب فِيهِ)

(٧ سورة الشورى)

حيث يجتمع فيه الناس جميعاً من أول الخلق حتى آخره ولا يتغيب عنه أحد وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(ذَلِكَ يَومٌ مَجمُوع له النَّاسُ)

(١٠٣ سورة هود)

ومن ضمن هذا الجمع ستكون الرسل مجتمعة لهدف وغاية .. فهو يوم جمع الرسل وذلك بالنص الشريف :

(يَومَ يَجمَعُ الله الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبتُم قَالوا لاَعِلْمَ لنا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) .

(١٠٩ سورة المائدة)

وهو كذلك يوم الدعوة حيث تم هذا الجمع بالدعوة إذ يدعو الله عباده بالنص الكريم :

(يَومَ يَدعُوكم فَتستَجيبُونَ بحمدهِ)

(٥٢ سورة الاسراء)

ويدعى كل أُناس بإمامهم بالنص الشريف :

(يَومَ نَدعُو كُلَّ أَنَاس بِإمَامِهِم)

(٧١ سورة الإسراء)

وتدعى كل أُمة إلى كتابها بالنص الكريم :

(وَتَرىَ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيةً كُلّ أُمة تُدعَى إلى كتَابِهَا)

(٢٨ سورة الجاثية)

هذا الجمع الحاشد وبهذه الصورة هو الحشر الكامل الذى قالت عنه آيات القرآن الكريم :

(وَيَومَ يَحشُرُهُم جمَيعاً)

(١٢٨ سورة الأنعام)

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الخلق جميعاً ليخبرهم بما عملوا فى حياتهم الدنيا.. علمه الله وأحصاه رغم أن الإنسان قد نسى ما عمله..فالله هو الشهيد على كل شئ وذلك بالنص الشريف :

(يَومَ يَبعَثُهُم الله جمَيعاً فَيُنَبِئُهُم بِمَا عَملوا أحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَئٍ شَهِيد)

(٦ سورة المجادلة)

ولذلك فإن يوم القيامة هو أيضاً يوم البعث بنص الآية الكريمة

(وَقَالَ الذينأوتُوا العلمَ وَالإيمَانَ لَقد لَبثُتم فى كتَابِ الله إلى يوم البعثِ فهذَا يَومُ البَعثِ وَلَكنَّكم كنتُم لاَتعلمُونَ)

(٥٦ سورة الروم)

والبعث والحشر والجمع إنما يتم بخروج الناس من حيث هم .. وبذلك فإن يوم القيامة هو الخروج بنص الآية الشريفة :

(يَومَ يَسمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحق ذَلِكَ يَومُ الخُرُوجِ)

(٤٢ سورة ق)

هذه الصيحة بالحق التى تعلن يوم القيامة .. إنما هى صيحة واحدة .. يحضر بعدها الخلق أجمعين وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إن كَانَتْ إلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإذَا هُم جَميعٌ لَدينَا مُحضرُونَ)

(٥٣ سورة يس)

وهى صيحة لا بد تناسب هذا العدد الهائل من الخلق الذى يعجز العقل عن تصوره أو تخيل أفراده .. وهى لا شك صيحة تصم الآذان وتفزع كل من يستمعها ولهذا فقد سماها القرآن الكريم الصاخة وذلك بالنص الشريف :

(فَإذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ)

(٣٣ سورة عبس)

ولقد أطلق القرآن الكريم على القيامة بسبب هذه الصيحة التى تقرع الأسماع جميعها اسم القارعة وذلك بالنص الشريف :

(القارعَة . مَا القَارعَةُ .. وَمَا أَدرَاكَ مَا القَارعَةُ)

(١ - ٣ سورة القارعة

لقد نفخ فى الصور .. ولذلك فإن يوم القيامة إنما هو يوم ينفخ فى الصور وذلك بالنص الكريم

(يَومَ يُنْفَخُ فى الصُّور فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً)

(١٨ سورة النبأ)

وينادى على الناس .. ويحسب كل إنسان أن النداء إنما هو عليه .. لأنه من أقرب مكان إليه .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَاستمِع يَومَ يُنادِ المُنَادِ مِن مَكَان قَريبٍ)

(٤١ سورة ق)

ويتصايح الخلق بعضهم على بعض .. وينادى كل إنسان من يعرف .. ومن يحب .. بل وعلى من لا يعرف ومن لا يحب .. من هول ما يرى .. والخوف مما هو وراء ما يرى .. ولذلك فإن يوم القيامة هو يوم التَّناد بنص آيات القرآن الكريم فى الآية الشريفة :

(وَيَاقَومِ إِنِّى أَخَاف عَلَيكُمْ يَوم التَّنَادِ)

(٣٢ سورة غافر)

ولكن هل يفيد النداءُ ؟ .. إذ هل يستجيب الإنسان أى إنسان .. نداء غيره عليه فى يومه هذا .. ؟ فإن لكل إنسان شأنه الذى يصرفه قطعاً عن غيره .. وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

(لكل امرئٍ يومَئذ شأنٌ يُغْنِيهِ)

(٣٧ سورة عبس)

ويكفى كل إنسان نفسه .. وما هى عليه .. تُجَادِلُ عن ذاتها . وقد قال فى ذلك القرآن الكريم :

(يَومَ تَأْتِى كلُّ نَفس تجادِلُ عَن نَفسِهَا وتُوَفَّى كلُّ نفس مَّا عَملتِ وهُم لايُظلَمُونَ)

(١١١ سورة النحل)

بل يفر كل إنسان من أعز من عنده فى محاول للنجاة من هول يوم القيامة .. يفر من أخيه .. وأمه .. وأبيه .. وزوجته وبنيه .. فلا استجابة منه لأى نداءٍ عليه .. ولا تلبية لأى دعوة .. له من غيره .. وذلك بالنص الشريف :

(يَومَ يَفرُّ المَرءُ مِن أَخيهِ . وأُمِهِ . وأَبيهِ . وَصَاحبَتِه وَبَنيه)

(٣٤ - ٣٦ سورة عبس)

وبالرغم من هذا الفرار فلابد من مواجهة كاملة بين الناس .. مواجهة للقصاص .. ولذلك فإن يوم القيامة .. هو يوم التلاق .. بالنص الشريف :

(يُلقِى الرُّوحَ مِن أَمرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوم التَّلاَق)

(١٥ سورة غافر)

ففيه يتلاقى الناس مع بعضهم .. ليأخذ كل إنسان حقه من غيره .. ويلتقون جميعاً يوم القيامة بنص الآية الكريمة :

(فَذرهُم يَخوضوا ويَلعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَومَهم الَّذى يُوعَدُون)

(٤٢ سورة المعارج)

ويلتقون بالملائكة لتعلن لهم حلول اليوم الذى كثيراً ما وعدوا به بالنص الشريف :

(وَتَتَلَقَّاهُم المَلاَئِكَةُ هَذَا يَومُكمْ الَّذى كنْتم توعَدُونَ)

(١٠٣ سورة الأنبياء)

بل إن الأهم والأعظم أنه سيتم لقاء الخلق بربهم جل شأنه وذلك بالنص الكريم :

(وَاتَّقُوا الله وَاعلمُوا أَنَّكم مُّلاقوهُ وَبَشِّر المُؤمِنِينَ)

(٢٢٣ سورة البقرة)

ويوم القيامة من الغيب الذى سيكون فى وقت ما .. من الواقع المشاهد الذى يشاهده الناس والملائكة .. وكافة الخلق .. فهو يوم مشهود بنص الآية الشريفة :

(وَذَلِكَ يَوم مَشهودٌ)

(١٠٣ سورة هود)

كما أنه فيه يقوم الأشهاد .. يشهدون للناس .. ويشهدون عليهم .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذينَ آمَنوا فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَومَ يَقُوم الأَشهَادُ)

(٥١ سورة غافر)

وتقوم القيامة بأمر الله وتقديره وفى لحظة تتم فيها بإرادته ولذلك فإن القرآن الكريم قد أطلق على يومها أنه اليوم الذى يقول الله سبحانه وتعالى له كن فيكون .. وبذلك تقوم القيامة وتقول آيات القرآن الكريم فى ذلك :

(وَهُوَ الَّذى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرضَ بالْحَقِّ وَيَومَ يَقولُ كن فيكون قَولهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلك يَومَ يُنفَخ فى الصُّور عَالِمُ الغَيب والشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكيمُ الخَبيُر)

(٧٣ سورة الأَنعام)

وهو يوم معلوم سبق تقديره فى علم الله .. محدد تمام التحديد .. اليوم والساعة كما شاء الله ولذلك تقول عنه آيات القرآن الكريم :

(قل إنَّ الأَوَّلينَ والآخرينَ لمَجمُوعُونَ إِلَى ميقَاتِ يَومٍ مَّعْلومٍ)

(٤٩ – ٥٠ سورة الواقعة)

ومن صفات يوم القيامة التى أَوردها القرآن الكريم .. العظمة .. فهو يوم عظيم .. واطلاق العظمة على اليوم إنما تنصرف إلى طوله .. وعرضه .. وقدره .. وما يحتويه .. وما سيقع فيه من حشد .. وحساب .. عذابه عظيم وثوابه عظيم .. فتقول عنه الآيات الشريفة :

(إِنَى أَخَاف عَلَيْكم عَذَابَ يَومٍ عَظيمٍ)

(٥٩ سورة الأَعراف)

وهو أَيضاً يوم كبير .. كبير بكل ما فيه .. من أَحداث .. ولقاءات .. وحساب .. وأَجر .. وذلك بنص القرآن الكريم :

(وَإِن تَوَلَّوا فَإِنِّى أَخَاف عَلَيْكمْ عَذَابَ يَوم كَبِيرٍ)

(٣ سورة هود)

وكذلك وصفه القرآن الكريم بالثقل .. طولا .. وعرضاً .. ووزناً .. لما فيه وذلك فى الآية الشريفة :

(إنَ هؤلاءِ يُحبُّونَ العَاجلةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُم يَوماً ثَقيلاً)
(٢٧ سورة الإنسان)

ومن صور طوله وعرضه وثقله وكبره أن القرآن الكريم قد قرر أن مقدار يوم القيامة خمسين ألف سنة مما نعدها من الأيام .. فأى طول .. وأى عرض .. وذلك فى النص الشريف :

(تَعرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إِلَيْهِ فى يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلف سَنَة)
(٤ سورة المعارج)

ومن أسباب ثقله وكبره وعظمته أن فيه يجزى الكافرون أشد العذاب بما كفروا وبما فعلوا فى دنياهم بالنص الكريم :

(اليَوْمَ تجزَونَ عَذَابَ الهُون بمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى الله غَيرَ الحَقّ وكُنتُم عَن آيَاتِهِ تَستكبرُونَ) .

(٦٣ سورة الأنعام)

إنه عذاب مهول يعجز العقل البشرى فى الحياة الدنيا أن يتخيل قدره وحتى يقف الإنسان على بعض قدر هذا العذاب فإن القرآن الكريم يقرر أن من كتب عليه العذاب يوم القيامة يحاول من فرط شدته .. وقسوته أن يفتدى نفسه .. بتقديم أولاده وزوجته وأخيه .. بل وكل أهله وقومه .. يعذبون بدلا منه .. ولا شك أن الإنسان لابدأن يتخيل قدر العذاب عندما يتدبر كيف أن الإنسان مهما كان إحساسه .. وشعوره .. يحاول أن يدفع ولده فى العذاب بدلا منه .. لابد أنه عذاب لاقبل لأى طاقة به .. ولا قدرة لأى إنسان أن يتحمله . حتى يتصرف هذا التصرف الرهيب وذلك فى النص الشريف :

(يَوَدُّ المُجرِمُ لَو يَفتَدى مِن عَذَاب يَومئذ ببنَيهِ . وصَاحبَتِهِ وأَخيهِ . وَفَصيلَتِهِ الَّتى تُؤْويهِ)

(١١ - ١٣ سورة المعارج)

ولذلك فإن من صفات يوم القيامة التى أوردها القرآن الكريم الألم فهو يوم أليم حقاً وذلك بالنص الكريم :

(إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَومٍ أَليمٍ) .

(٢٦ سورة هود)

وهو كذلك يوم عسير على الكافرين بالنص الشريف :

(فَذلِك يومَئذٍ يَومٌ عَسير. عَلَى الكافرينَ غَيرُ يَسيرٍ)

(٩ – ١٠ سورة المدثر)

يوم لا خير لهم فيه ولا رحمة بهم ولا شفقة عليهم فهو بالنسبة لهم يوم عقيم وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلَايَزَالُ الَّذينَ كَفَرُوا فى مريَة منْه حتَّى تَأْتيَهُمُ السَّاعةُ بَغتَةً أو يَأْتيَهم عَذَابُ يَومٍ عَقيمٍ)

(٥٥ سورة الحج)

فيه يتحسرون على ما فرطوا فى حق الله وحق أنفسهم وحق غيرهم ولذلك أطلق القرآن الكريم على يوم القيامة يوم الحسرة بالنص الشريف :

(وأنذرهُم يَومَ الحَسرَةِ إذ قُضىَ الأَمرُ وَهُم فى غَفْلة وَهُم لَا يُؤمِنُونَ) .

(٣٩ سورة مريم)

وقد أطلق القرآن الكريم على القيامة الطامة الكبرى وهى التى تعم أهوالها ويشتد الكرب ولا طاقة أكبر منها وذلك بالنص الكريم :

(فإذا جَاءتِ الطَّامةُ الكُبرىَ)

(٢٤ سورة النازعات

كما أطلق عليها الغاشية وهى التى تغشى الناس بأهوالها بالنص الشريف :

(هَل أَتَاكَ حَديثُ الغاشيَةِ)

(١ سورة الغاشية)

وهذه الأهوال تحيط بالكافرين إحاطة لا يمكن معها أن يجدوا سبيلا للهروب منها ولذلك فإن يوم القيامة يوم محيط بنص الآية الشريفة :

(إنِّى أَرَاكُم بخَيرٍ وإنِّى أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوم مُحيط)

(٨٤ سورة هود)

ويلجأ الكافرون من شدة ما هم فيه من عذاب إلى سحابة كبيرة منتشرة لعلها تنجيهم من العذاب الأليم أو تحميهم من حر هذا اليوم الشديد فإذ بهذه السحابة أو الظلة تمطرهم ناراً حامية فهم يلجأون إلى النار من النار .. وذلك بنص الآية الكريمة :

(فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهَم عَذَابُ يَومِ الظُّلَةِ إنَّهُ كَانَ عَذَاب يَوْمٍ عَظِيم)

(١٨٩ سورة الشعراء)

ولقد أورد القرآن الكريم بعض أوصاف أخرى ليوم القيامة تشير إلى شدة اليوم وما فيه إذ بالرغم من أن المؤمنين يعلمون أن فى ذلك اليوم سيشتد عبوس الناس وتظهر على محياهم بوضوح ما فى نفوسهم من ذهول ووجوم إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوماً عَبُوسَا قَمْطرِيرَا)

(١٠ سورة الإنسان)

إلا أن حقيقة ما فى يوم القيامة من شر .. أكثر من ذلك وأوسع وأعمق .. إن شره بالغ الشدة وكامل الانتشار وذلك بالنص الشريف :

(يُوفُونَ بالنَّذر وَيَخَافُونَ يَوماً كَانَ شَرُّهُ مُستَطيراً)

(٧سورة الإنسان)

يبلغ من شدته أن تشيب الأطفال من هول ما ترى بالنص الكريم :

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إن كَفَرْتُم يَومًا يَجعَلُ الولدان شيباً)

(١٧ سورة المزمل)

وتتقلب فيه القلوب والأبصار تبتغى وسيلة للنجاة مما هى فيه وذلك بنص الآية الشريفة :

(يَخَافُونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ)

(٣٧ سورة النور)

ولذلك فإن من ضمن ما أطلق القرآن الكريم على يوم القيامة يوم تشخص فيه الأبصار بالنص الكريم :

(وَلَاتَحسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعملُ الظَّالمُونَ إنَّمَا يُؤخِرُهُم ليَومٍ تَشخصُ فيهِ الأَبصَارُ)

(٤٢ سورة ابراهيم)

ولكثرة ما توعد القرآن الكريم الكافرين بعذابه فإن من ضمن أسمائه يوم الوعيد وذلك بنص الآية الكريمة :

(وَنُفخ فى الصُّور ذَلِكَ يَومُ الوَعيدِ)

(٢٠ سورة ق)

ومهما كان من أمر المؤمن فى الدنيا واجتهاده وجده فإنه لا شك يوم القيامة يندم على تهاونه فى العبادة وانصرافه ولوجزئياً عما يجب .. فإذا كان الإنسان فى أوقات عبادته فى الدنيا يشتغل حتماً ولو جزئيا بالدنيا

وبأحوالها وعروضها فإنه مما يجب عليه أنه وهو فى حالاته الدنيوية أن ينشغل كذلك ولو جزئياً بالآخرة .. للعدالة .. والمساواة فى الاهتمام بين الدنيا والآخرة .. بين الحياة الأولى الفانية .. والحياة الآخرة الباقية .. ولو أن الإنسان علم الحق . . واتخذ طريقه . . لهانت عليه الدنيا بما فيها . وما أقبل إلا على الآخرة .. وما جعل الدنيا إلا للاجتهاد والسعى للآخرة .. ولو تدبر الإنسان ما سيكون عليه الشأن يوم القيامة لداوم على ذكر الله .. وعمل لما بعد الموت .. وكذلك الكافر .. سيندم أشد الندم وأعظمه .. فإنه لاشك سيندم على ما كان من كفره .. وهذا هو غبن الكافر .. وهذا هو غبن المتهاون .. وكذلك فإن الإنسان سيرى فى يوم القيامة سادة كانو فى الدنيا على أحسن حال وقد نزلوا بأعمالهم إلى مكان المحتقرين الضالين .. وسيجد ضعفاء فقراء قد نزلوا يوم القيامة منازل السادة العظماء بأعمالهم فى الدنيا .. لذلك فإن القرآن الكريم قد أطلق لهذه الأسباب على يوم القيامة يوم التغابن وذلك بالنص الشريف :

(يَوْمَ يَجْمَعُكُم لِيَومِ الجمعِ ذَلكَ يَومُ التَّغَابُن)

(٩ سورة التغابُن)

والقيامة لذلك إنما تخفض أقواماً لسوء أحوالهم .. وترفع أقواماً

لصالح أعمالهم وأورد القرآن الكريم فى صفات يوم القيامة ما يؤكد هذه الحقيقة عن القيامة بالنص الشريف :

(إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ . لَيسَ لوَقعتهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضِة رَافعَة)

(١ - ٣ سورة الواقعة)

وإطلاق القرآن الكريم على القيامة اسم الواقعة إنما ليؤكد فى الأذهان حقيقة وقوعها وحتمية قيامها ولذلك فقد تكرر ذكر الواقعة فى القرآن الكريم على أنها القيامة فى مثل النص الكريم :

(فَإِذَا نُفخَ فى الصُّور نَفخَةٌ واحدةٌ . وَحَمِلَتِ الأَرْضُ وَالجبَالُ فَدكَّتَا دَكَّة واحدَة . فَيومَئذ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ)

(١٣ - ١٥ سورة الحاقة)

وفى نفس المعنى يصف القرآن الكريم يوم القيامة بأنه يوم لاريب فيه وذلك بنص الآية الشريفة :

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاس ليَوم ٍ لَارَيب فيهِ إِنَّ اللهَ لَايُخلِف الميعَادَ)

(٩ سورة ال عمران)

وأنه لا مرد له من الله سبحانه وتعالى بعد أن قضى به فأمره مؤكد وقيامه مقرر وذلك بالنص الكريم :

(استَجيبُوا لِرَبّكُم مِّن قَبل أَن يَأْتِى يَوم لَامَرَدَّ لَهُ مِنَ الله)

(٤٧ سورة الشورى)

وبعد أَن وعد الله سبحانه وتعالى به أَصبح بذلك يوم القيامة هو اليوم الموعود بنص الآيات الشريفة :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ . وَاليَوْمِ المَوعُودِ)

(١ - ٢ سورة البروج)

ولأَن يوم القيامة هو آخر الأَيام إذ يتقرر فيه مصير الخلق .. فإما إلى جنة . وإما إلى النار فقد أطلق القرآن الكريم عليه اليوم الآخر وذلك بالنص الكريم :

(فَإن تَنَازعتُم فى شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُول إن كنتُم تُؤْمِنُونَ بالله وَاليَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْر وأَحسَنُ تَأْوِيلاً)

(٥٩ سورة النساء)

ومهما كانت القيامة بعيدة الزمن فى ظن الإنسان وتخيله ومهما تصور بعد ساعة قيامها .. فالحقيقة إنها لقريبة ..بل وقريبة جداً .. فما هو مقرر وقوعه .. لابد أَن يكون قريباً .. وما هو آت .. فإن مرور الأَيام لتزيده قرباً .. ولذلك فقد أَطلق القرآن الكريم على يوم القيامة .. يوم الآزفة وذلك فى النص الشريف :

(وَأَنذِرهُم يَومَ الآزِفَةِ إِذ القُلُوبُ لدى الحَنَاجِر كَاظمينَ مَا للظَّالمينَ مِن حَميمٍ وَلَا شَفيعٍ يُطاعُ)

(١٨ سورة غافر)

وتقرر آيات القرآن الكريم صراحة وفى وضوح أَن يوم القيامة قريب جداً رغم ظن البعض أَنه بعيد وذلك بالنص الكريم :

(إِنَّهُم يَرونَهُ بَعيداً . وَنَراهُ قَريباً)

(٦ - ٧ سورة المعارج)

وهناك صفات ليوم القيامة تتضح مما صورته آيات القرآن الكريم من أَحوال هذا اليوم وما أَوردته عن أَهواله .. ونتائج ما يحاسب الإِنسان به .. وعليه .. فهو يوم الخزى .. والسوء على الكافرين وذلك بنص الآية الشريفة :

(ثُمَّ يَومَ القيَامةِ يُخزيهم وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِىَ الَّذينَ كُنتم تُشَاقُّونَ فيهم قَالَ الَّذينَ أوتُوا العلمَ إِنَّ الخزىَ اليَومَ والسُّوءَ عَلَى الكَافرينَ)

(٢٧ سورة النحل)

وفيه يظهر واضحاً وجلياً قبح الكافرين شكلا وعملا وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَأَتبعنَاهُم فى هَذِهِ الدُّنيَا لَعنَةً وَيَومَ القِيَامَةِ هَم مِنَ المَقبُوحِين)

(٤٢ سورة القصص)

فوجوههم عليها غبار وكدر.. وفيها ظلمة وسواد ونكد وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَوُجُوهُ يَومَئِذ عَلَيْها غبَرَةٌ . تَرهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ)

(٤٠ – ٤٢ سورة عبس)

لقد خسروا خسارة لامزيد عليها.. ولا مثيل لها ..فهم الخاسرون .. فى يوم القيامة .. وهو يوم الخسارة بالنسبة لهم يقينا وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

(فاعبُدُوا مَاشئتُم مِّن دُونِهِ قُل إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذينَ خَسِرُوا أَنفُسَهم وأَهليهم يَومَ القِيَامةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسرَانُ المُبينُ)

(١٥ سورة الزمر)

فقد عرض أَمرهم .. وعرض عملهم .. وعرضوا أَنفسهم كما عرض الخلق جميعاً على الله سبحانه وتعالى فيوم القيامة هو يوم العرض وذلك كما تقرر الآية الشريفة :

(يَومَئِذ تعرَضُونَ لَاتَخفَى مِنكُم خَافيَة)

(١٨ سورة الحاقة)

وهو يوم الرجوع إلى الله كما تنصَ الآية الكريمة :

(وَاتقوا يوماً تُرجَعُونَ فيهِ إِلَى الله)

(٢٨١ سورة البقرة)

وهو يوم المساق .. حيث يتجه الخلق جميعاً إلى الله .. بالنص الشريف :

(إلى رَبِّكَ يَومئِذِ المَسَاقُ)

(٣٠ سورة القيامة)

وفيه يستقر الناس للحساب عند ربهم فهو يوم المستقر وذلك بنص الآية الكريمة :

(إِلى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المتسَقَر)

(٩ سورة القيامة)

لقد عادت الخلق إلى الله .. العزيز الكريم .. فإليه سبحانه وتعالى المآب .. فيوم القيامة هوكذلك يوم المآب وذلك بنص الآية الشريفة :

(إِليهِ أَدعُو وَإِليهِ مَآب)

(٣٦ سورة الرعد)

وحتى تتضح اهمية يوم القيامة وحتى يتدبر الإنسان بعض ما سيكون عليه هذا اليوم فإن القرآن الكريم قد جعل من ضمن أسماء القيامة الساعة .. ولاشك أن الإنسان يطلق على اللحظات الحاسمة فى حياته اسم الساعة .. فيقول ساعة المولد .. وساعة الوفاة .. وساعة النوم .. وساعة اللقاءِ وساعة الفراق إيضاحاً لأهمية الحدث الذى أطلق عليه اسم الساعة .. غير أن الواجب يقتضى من الإنسان ألا يطلق الساعة إلا على القيامة فإنها ولا ساعة غيرها إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(بل السَّاعة مَوعِدُهُم والسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمَرُّ)

(٤٦ سورة القمر)

أدهى من كل عذاب يراه الإنسان أو يتخيله .. وأمرُّ من كل هول يتصوره الإنسان .. أويتوقعه .. هذه بعض الأسماء والصفات التى أوردها القرآن الكريم ليوم القيامة بالنسبة للكافرين .. أما المؤمنون فإن لهم يوم القيامة شأن مغاير .. وللصالحين فيه حال مختلف .. ولذلك فإن ليوم القيامة بالنسبة لهم أسماء وصفات أخرى .. فهو يوم لايخزى الله جل شأنه فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الذين آمنوا معه بنص الآية الشريفة :

(يَومَ لَايُخزى اللهُ النَّبِىَّ وَالَّذينَ آمنُوا مَعَهُ)

(٨ سورة التحريم)

وهو يوم الفتح .. بما يفتح الله به على المؤمنين وينصرهم فيه النصر المبين وذلك بالنص الكريم :

(قُل يَومَ الفَتحِ لَا يَنفَعُ الَّذينَ كَفَرُوا إِيمَانُهم وَلَاهُم يُنظَرُونَ)

(٢٩ سورة السجدة)

وهو يوم السلام .. والأَجر الكريم بنص الآية الشريفة :

(تَحيتُهم يَومَ يلقَونَهُ سَلَامُ وَأَعَدلهُم أَجراً كَريماً)

(٤٤ سورة الأَحزاب)

وهو يوم الرحمة .. ويوم الفوز العظيم بنص الآية الكريمة :

(وَقهم السَّيِّئَات وَمَن تَق السِّيئَاتِ يَومَئِذ فَقَد رَحِمتَهُ وَذَلِك هُوَ الفَوزُ العَظيمُ)

(٩ سورة غافر)

يفوز فيه المؤمنون فوزاً واضحاً .. جلياً .. فهو يوم الفوز المبين بالنص الشريف :

(من يُصرَف عَنهُ يَومَئذ فَقد رَحِمهُ وذَلِكَ الفوزُ المُبينَ)

(١٦ سورة الأنعام)

وهو يوم الجزاء الجميل بنص الآية الشريفة :

(إنِّى جَزيتُهُم اليومَ بمَا صَبَرُوا أنَّهَم هُم الفَائزُونَ)

(١١١ سورة المؤمنون)

لا يحس المؤمنون فى هذا اليوم بالقلق الذى يصيب الكافرين .. القلق المدمر الذى يتناسب وهول اليوم ورهبة الساعة .. فهم فى يوم القيامة فى استقرار جميل .. وفى هدوء كريم .. لايسمعون إلا الخير ولا ينطقون إلا بالخير .. فهو يوم المستقر الجميل والقول الحسن وذلك بنص الآية الكريمة :

(أَصحَابُ الجَنَّةِ يَومَئِذ خيرٌ مُستَقَرّا وَأَحسَنُ مَقيلاً)

(٢٤ سورة الفرقان)

إن صدقهم فى الحياة الدنيا مع ربهم ومع أنفسهم ومع غيرهم . كان الحصن الذى يأمنون فيه فى يوم القيامة من كل عذاب وكل قلق وكل هول .. لقد نفعهم صدقهم يوم القيامة .. فهو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم وذلك بنص الآية الكريمة :

(قَالَ اللهُ هَذَا يَومُ يَنفَعُ الصَّادِقينَ صِدْقُهُم لَهُم جَنَّاتٌ تَجرى مِن تَحتهَا الأَنهَارُ خَالدينَ فيها أَبدًا رَضى الله عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ ذَلِكَ الفوز العظيمُ)

(١١٩ سورة المائدة)

ولذلك فإن هؤلاء المؤمنون يوم القيامة لا يخافون شيئاً .. ولا يخشون أمرًا .. سعداء .. لا يحزنون مطمئنين .. لا يفزعون .. فهو اليوم الذى لا خوف على المؤمنين ولاهم يحزنون وذلك كما أراده الله سبحانه وتعالى وقال به فى النص الشريف :

(يَاعبَادِ لَا خَوْف عَلَيْكُم اليَومَ وَلَا أَنتم تَحزَنُونَ)

(٦٨ سورة الزخرف)

ويوم القيامة للمؤمنين هو يوم الوجوه الضاحكة .. المستبشرة . إنهم سعدوا إذ وجدوا ما اعتقدوا .. ولا قوا ما عملوا من أجل ماآمنوا به .. وسعوا لأجله .. وفيهم تقول آيات القرآن الكريم :

(وُجُوهٌ يَومَئِذ مُسْفِرَة . ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ)

(٣٨ — ٢٩ سورة عبس)

هو لهم يوم الوجوه الناعمة .. ناعمة بما هى فيه . راضية بما كان منها .. وبحالها .. بنص الآيات الشريفة :

(وُجُوه يَومَئِذ نَاعِمَة . لِسعيِهَا رَاضِيَة)

(٨ — ٩ سورة الغاشية)

يوم الوجوه الناضرة .. التى نضرها النظر إلى ربها .. فهى دواماً متجهة إليه . متعلقة به .. وذلك بالنص الكريم :

(وَجُوه يَومَئذ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّها ناظِرةٌ)

(٢٢ - ٢٣ سورة القيامة)

فيه تبيض وجوه المؤمنين . بياض الفرح والسرور والاطمئنان فقد شملتهم رحمة الله وتأكدوا أنهم سيخلدون إلى أبد الآبدين فى هذه الرحمة وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَأَمَّا الَّذِين ابيضَّت وُجُوهَهم فنِى رَحمة الله هُم فِيهَا خالدُونَ)

(١٠٧ سورة آل عمران)

هذ التوحه من الإنسان إلى الله .. والتعلق بالنظر إليه .. وقد انكشفت الحجب عن نور الله .. إذ يغمر النور الإنسان . فيكتسب الإنسان منه .. ويأخد عنه .. بل ويفيض النور عليه .. لذلك فإن يوم القيامة هو يوم النور للمؤمنين .. وهو يوم البشرى لهم كذلك بنص الآية الكريمة :

(يَومَ تَرَى المؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ يَسعَى نُورُهُم بَينَ أَيدِيهِم وَبِأيمانِهِم بُشرَاكُمْ اليومَ جَنَّاتٌ تَجرِى مِن تحتِها الأَنهار خَالِدِينَ فِيهَا)

(١٢ سورة الحديد)

ويمكن للمتدبر لآيات القرآن الكريم أن يقف على أسماء وصفات

أخرى ليوم القيامة سواء بالنسبة للمؤمنين الذين يعتبر يوم القيامة لهم هو يوم الفوز المبين أو الكافرين الذين يعتبر يوم القيامة لهم هو يوم العذاب الأليم .. فإن السور الكريمة التى جاءت بأحوال يوم القيامة كثيرة والآيات الشريفة التى أوردت مشاهد القيامة عديدة ..

ولا شك أن تحت كل اسم من أسماء القيامة .. سر .. بل وأسرار .. وتحت كل صفة أونعت معنى .. بل ومعانى . وتكرار الأسماء وتعدد الصفحات والنعوت إنما لحكمة وهدف بل لحكم وأهداف .. منها أن يتدبر الإنسان حقيقة اليوم الذى هو مقبل عليه لا شك .. طال الموعد أو قصر .. ويعرف شيئاً .. عما سيلاقيه .. وقليلا .. بما فيه .. فيعيد النظر فيما يفعل .. ويستعد بما يعمل .. ليلقى الله سبحانه وتعالى .. ويستمع له . جل شأنه .. فى يوم القيامة فى أكرم نداءٍ .. وأجمل قرار .. وهو يقول عز من قائل :

(يَاعبَادِ لَاخَوف عَلَيْكُم اليَومَ وَلَا أَنْتُم تَحزنونَ . الَّذينَ آمَنُوا بِآياتنَا وَكَانُوا مُسلمِين . ادخُلُوا الجَنَّةَ أَنتُم وأَزواجُكُم تحْبَرُونَ)

(٦٨ – ٧٠ سورة الزخرف)

من الموت حتى القيامة

يولد الإنسان فى هذه الحياة الدنيا دون مشيئة عنه . . وبلا إرادة منه . . وبغير تدخل منه فى مولده . . ولا فى مولد الآخرين . . ولا يشترك الإنسان إطلاقاً بأى مجهود . . ولا بأى فعل سواء أكان بطريق مباشر أو غير مباشر فى تكوينه فى مختلف مراحل النمو والتكوين . . ولا يمكن أن يتسلط على موعد ميلاده . . ولا يتدخل فى تحديد موعد ولادة الآخرين . . فالميلاد عملية خلق . . يقوم بها الخالق . . ويتم فيها الخلق بإرادته . إن الإنسان يولد لأن هذه مشيئة الله جل شأنه . . قد كتبها منذ الأزل . . فقبل الكون . . وقبل أن تكون الدنيا . . رأى الله سبحانه وتعالى أن يخلق فى هذا الوجود أشخاصاً على هيئتهم وبظروفهم . . سماهم . . وحدد أرزاقهم . . وصور أشكالهم . . وصور آباءهم وأمهاتهم . . وقرر أولادهم وأحفادهم . . فهى إرادته سبحانه وتعالى ولا إرادة غيره . . وهى أمره . ولا أمر لسواه . . حكم مقرر سبق منذ الأزل تقريره . . وأمر مقدر . . من البداية صار تقديره . . لذلك يتزوج الرجل بأنثى . . وهما فى صلاحية تامة للإنجاب . . وفى استطاعة كاملة للتوالد . . فلا ينجبان . . ويظلا وقتاً طويلا . . فى فحوص وأبحاث . . وفى

محاولات وعلاج . . ورغم ذلك لا يتم منهما التوالد . . وغيرهما على ضعف ظاهر . . وقصور واضح . . وقد كثر نسلها . . وتعددت ولادتها . . هذا يبحث عن الولد . . فيفر منه . . وهذا يرغب فى التحديد فلا يحصل عليه . . ولا يصل إليه . . لا دخل للغنى . . ولا للرغبة . . ولا سبيل لأى كائن إليه . . إنها مشيئة الله وحده . . كانت منذ الأزل . . وهذا يشتهى الولد فلا يلد إلا أنثى . . وغيره يرجو الأنثى فلا يلد إلا الذكر . . وهذا تزيد خلقته من أمهات من الإناث على الذكور . . وغيره . . تزيد الذكور على الإناث . . وهذا لا يلد إطلاقاً . . وصدق الله العظيم الذى يقول فى كتابه العزيز :

(لله مُلك السَّمَاواتِ والأَرض يَخلُقُ مَا يشاء يَهَبُ لمَن يَشَاءُ إنَاثًا وَيَهَبُ لِمن يَشَاءُ الذّكُورَ. أَو يُزَوجُهُم ذُكرانَا وَإنَاثًا ويَجعَلُ مَن يَشَاء عَقيمًا إنَّهُ عَليمٌ قَديرٌ)

(٥٠ سورة الشورى)

أليس ذلك لحكمة . . ولقصد . . ولهدف . . ولغرض . . ويموت الإنسان . . بعد حياة طالت . . أو قصرت . لينتقل من هذه الحياة الدنيا . . إلى الحياة الأخرى . . دون أن يكون له دخل فى هذا الانتقال . . بل إن الإنسان قد يحاول جاهدًا أن يوقف هذا الانتقال أو حتى يؤجله ولو إلى حين . . ومهما وصل فى محاولاته . . من نجاح

ظاهرى . . فإنما ليؤخر الانتقال إلى الوقت المعلوم . . والزمن المحدد . . والأجل المكتوب . فكل مريض ينجح علاجه . . فإنما لأن وقت انتقاله لم يحن بعد . . وكل مريض يفشل علاجه . رغم براعة الطبيب ودقة العلاج . فلأن ساعة رحيله قد حانت . . فقد تحدد لكل إنسان قبل مولده لحظة انتقاله . . فمن حاول إنهاء حياته بطريقة أو أخرى . . فإنما لأن لحظة الإنتهاء قد حلت . . ومن جاهد لإبطاء لحظة الرحيل ونجح فلأن لحظة الإنتهاء لم تحل بعد . . أما من مات . . فجأة . . وهو فى بالغ قوته . . ومنتهى شدته . . وفى تمام صحته وشبابه . . فقد جاء أجله . . ولا سبيل لتأجيله . . فليمت . . هكذا . . دون أسباب . . وبلا مرض . . بل وبلا مقدمات . .

أليس ذلك لحكمة . . ولقصد . . وبهدف . . ولغرض . .

توقيت مقدر . . وأيام معدودة . . وأنفاس محدودة . . لابد بعدها ينتقل الإنسان . .

وهكذا يدخل الإنسان الدنيا . . بغير إرادته . . وبدون مشاركة منه . . وفى لحظة سبق تقديرها وينتقل منها دون مشيئته . . وبغير رغبته . . وفى لحظة سبق تقديرها . . فهناك إذا قدرة قدرت الأمر بمولد إنسان ما . . فيولد . . ومشيئة قررت لحظة انتقاله . . فينتقل . .

هذه القدرة الخلاقة التى تظهر بعض آثار قدرتها فى خلق هذا الكائن . . إذا ما تدبرها الإنسان فإنه لا يملك إلا التسليم بعجزه عن

إدراك حقيقة ما حوله . . بل وحقيقة نفسه . . فإنها أكبر مما يستطيع أن يدرك . . وأبعد مما يستطيع أن يصل إليه . . فهذا الكائن . . يحير الأفهام . . فى كل ما هو فيه . . فى عقله . . كيف يعمل . . ؟ بل ما هو عقله . . ومخه . . هذه الكتلة التى تزن حوالى الكيلو جرام الواحد . . والتى لا يختلف إنسان عن غيره فى تركيبها ولا فى شكلها ولا فى وزنها . . ولكن لا يتفق واحد مع الآخر فى قدر ما يفهم . . . ترى كيف يفهم الإنسان بل كيف يفكر . . وما هو الفكر . . وكيف ينسى . . ولماذا . . إنها معجزة . . وهذا الكائن . . كيف يبصر . . إنها معجزة كذلك تجل عن الوصف . . ويسمع بجهاز هو آية فى الدقة والإتقان . . ودائماً يتحدث العلماءُ عن معجزة الحواس إذ يطلقون على كل حاسة لفظ المعجزة . . وما خفى من معجزات فهى أغرب وأعجب . . كتلك الحاسة السادسة أو الحاسة المجهولة . . واللغة التى تربط بين الأقوام . . فلكل قوم لغتهم . . وللبشرية جميعاً لساناً يتحدثون به . كيف يفهم الطفل الصغير لغة قومه . . والتى يعجز الكبير من غير القوم على فهمها . . هذا الكائن يأكل من غذاءٍ خلقه الله له . . ولا دخل للإنسان فيه . . إلا إذا قال قائل أن مجرد إلقاء البذرة على الأرض . . ثم موالاتها إلى أن يتم حصاد ناتجها يكون خلقاً . . وهذا ما لا يمكن أن يقول به أحد . . فالخلق . من الله . . خلق البذرة لأولى لكل نبات . . وخلق الحيوان ليستمر الإنتاج . . وتهيأ للإنسان كل وسائل الحياة . . وكل أنواع الغذاء . ويتنفس الإنسان الهواء الذى

يحيط به فى كل اتجاه . . ويشرب الماء . . الذى ينهمر له من السماء . . والهواءُ والماءُ مادة واحدة . . فهما أُكسوجين وأَيدروجين . . فى حالة غازية . . تكون الهواء . . وفى حالة سائلة يصبح الماءُ . . والفارق بينهما واضح كبير رغم أَنهما مادة واحدة . . والهواءُ يدخل فى حالته الغازية من طريق لا يخطئوه والماءُ يصل إلى الجسم من طريق آخر . . ولو أَخطأَ الماءُ طريقه فدخل الجسم عن طريق الهواءِ . . لانتهى الإنسان فورا . . ولمات توا . . وما يفيض عن حاجة الجسم من غذاءٍ . . فإنه يعرف طريقه إلى الخارج . . ولكل نوع من البواقى طريقها أَيضاً إلى خارج الجسم . . وفى كل ذلك لا عمل للإنسان . . ولا إرادة له . . ولا واجب عليه إلا أَن يشكر هذه القدرة العظيمة الخلاقة على جميل ماتصنع . . وحسن ما تدبر . . فلا يشرف الإنسان على عملية هضم طعامه . . ولا امتصاص الصالح منه . . ولا التخلص من الزائد عنه . .

وهذا الكائن العجيب الصنع . . العظيم التكوين . . البالغ التعقيد . . فى كل لحظاته . . إنما يشير إلى القدرة العظيمة . . التى لابد أَن تكون قد خلقته لحكمة . . وهدف . . فلابد لهذا الكائن أَن ينام . . فالنوم إنما يجدد حياته . . ويحفظ عليه قدرته . . هكذا يقول علم وظائف الأَعضاء . . ولكن أَلا يكون للنوم هدف آخر . . لا سيما وأَن الإنسان ينطلق بروحه خارج جسده . . ومن الممكن أَن يكون مجرد جلوس الإنسان لبرهة فيه الكفاية للراحة الجسدية . . أَليست الراحة

هى كف الجسم عن الحركة . . ؟ ولكن حقيقة النوم من أغرب وأعجب ما يمكن أن يتخيل الإنسان . . فهو ينام بلا عمد منه . . وبلا تدخل فيه . . فقد ينام جالساً فى أشد ضوضاء ممكنة . . وقد ينام صباحاً . . أو ظهرًا . . مساءًا . أو ليلا . . مرتديا ثيابه كاملة . أو متحللا من بعضها . . يباغته النوم فى أى لحظة وعلى أى هيئة كان . فلابد أن هدف النوم أكثر من الراحة . . وأبعد من مناشدة الهدوء . ألا يكون النوم عملية تدريب عملى يمارسها الإنسان كل يوم . . استعدادًا للنوم الأكبر . . فهو انطلاق بالروح مؤقت . . ويكون ذلك تدريباً للانطلاق الدائم . . فى الموت . . حيث يدخل الإنسان حياة أخرى . . سبق أن مارس الطريق إليها . .

ويتحرك الكائن . . فى كل اتجاه . . إلى الأمام والخلف . . وعلى الجانبين . . ويلف ويدور فى سهولة ويسر وتتحرك كل مفاصله لتحرك أجهزتها . . ولكن هناك الأجزاء الثابتة فى الإنسان لا تتحرك . . فإذا تحركت من موضعها مات فوراً . . إن الحديث عن كل خلية من خلايا الجسم . . لا ينتهى . . فيها من الآيات ما لا يقع تحت حصر . . ولا يشمله العد .

هذا الكائن على هذه الصورة الرائعة من الكمال والجمال . . ومن الدقة والإتقان . . خلقته هذه القدرة من عدم . . ومن عدم مطلق . . فلا يمكن أن يكون قد خلقته عبثاً . . وأوجدته بلا هدف . . لتعدمه

بعد أيام عدماً مطلقاً . . فالإنسان مهما عاش فى حياته الدنيا فمدته هذه قصيرة فى عمر الزمن . . لا تبلغ أكثر من لحظات فى جبين الدهر . . ولذلك فإن الإنسان بموته . . إنما ينتقل من حياة نعرفها لأننا نمارسها الآن إلى حياة أخرى لا نعرفها لأننا لم نمارسها بعد . . ولكننا يقينا سنعرفها عندما نمارسها . .

والإنسان وهو جنين فى رحم أمه ولا يزيد عن مضغة صغيرة من اللحم . . غير واضحة الشكل . . وغير مكتملة الخلق . . هذه الكتلة التى لا شكل لها ولا هيئة هى عليها . . إنما تمارس حياة طويلة وعريضة . . دون شمس وبلا هواء . . وبغير مقومات الحياة التى نعرفها والتى نشك فى قيام الحياة دونها . . فكيف إذا نظن أن الإنسان فى العالم المغلق المجهول بالنسبة لنا والذى ننتقل إليه بالموت لا نعيش فيه ولا نحيا . .

والجنين منذ أيامه الأولى وهو فى عالم أضيق . . وفى ظروف أصعب . . وفى رحم . . لا يكاد يتحرك فيه إلا بصعوبة . . يعيش ويحيا . . ويحس . ويعرف . . ويعلم . . ولا نعرف حتى الآن كيف يحس . . ولاماذا يعرف . . ولا أى شيء يعلمه . . ولكن لاشك أن ما يحسه لابد رائعاً . . وأن ما يعرفه . لابد عجيباً وأن ما يعلمه . . لا جدل غريباً . . فلابد أن إحساسه من نوع آخر وبطريق مغاير لما

نعرفه . ولما نعهده . . إذا أَن معرفته إنما ترجع إلى عالم غير مرئى بالنسبة لمن ولدوا . . فالأجنة قبل مولدها . . تشاهد ما لا يشاهده الناس بأَعينهم . . فقد أَثبت العلم أَخيرًا أَن هناك أَمراض تصيب الإنسان وتجعله يعود بذاكرته إلى طفولته المبكرة . . ويعيش فى أَحداثها . . مما تصيبه بأَمراض نفسية . . الأَمر الذى وضعت بسببه هذه الظاهرة تحت البحث والدراسة . . ففى الحالات العادية يتذكر الإنسان ما كانت عليه طفولته فى السنة الخامسة أَو الرابعة من عمره . . أَو الثالثة أَحياناً . . ولكن أَن يتذكر رحلته الزمنية السابقة على ذلك . . وهو فى سن الثانية أَو الأُولى . . ويتذكر أَحداثه فيها وكأَنه يعيشها مرة أُخرى . . فهذه هى الحالات المرضية التى كانت موضع دراسة وبحث الأطباء والعلماء . . حيث تأكدوا أَنه نتيجة مرض يؤثر فى أَجزاء معينة من الأَجهزة العصبية يرتد الإنسان بسببه بفكره وذاكرته إلى أَيام ولادته . . وقد تمكن العلماء عن طريق إثارة صناعية لأَجزاء معينة من المخ من أَن يرتد الإنسان بذاكرته إلى شهوره الأُولى . . بل والأَعجب أَنه باستمرار الإثارة وفى أَماكن أُخرى من جهازه العصبى . . استطاعوا أَن يعيدوا الإنسان بذاكرته إلى حياته الجنينية . . وأَن يتذكر عندها ما كان عليه وهو مازال فى رحم أُمه . . وبديهى أَنه تذكر ما لم يسبق أَن تذكره أَى إنسان ولا يمكن أَن يكون موضع بحثه . . وما زالت الأَبحاث تجرى

للوقوف على ما يعترى الجنين وهو فى أيامه الأولى فى الرحم من إحساس ومعرفة . . ما يراه . . وما يتعامل معه . . والملائكة التى تغذيه . . وتلك التى تحافظ عليه . . وغيرها التى تعلمه . . ما يجب عليه أن يعلمه . . والطريق الذى يعبد به الله . . ووسائل إيمانه البالغة . . وكل ما هو واقع له . . ومشاهد منه . فى الحقيقة التى تصبح غيباً مجهولا له . . بعد أن يولد بأيام . . حيث يظل الجنين بعد مولده لفترة قصيرة يضحك ويبكى ويبتسم يحاول أن يحرك أعضاءه . . وكأنه فى عناق أو سلام أو وداع لمن يرى . . ولاشك أن فى هذه الفترة يكون الوليد لا يسمع ولا يرى ولا يعى . . إذ أن الأذن لم تشتغل بعد . . والعين لم تبصر بعد . . والمعرفة لم تبدأ . . وإذا كان ذلك هو الشأن مع الجنين وهو فى الرحم . . ألا يكون الشأن مشابهاً . . مع الفارق . . مع الإنسان فى حياته الأخرى . . بعد أن انتقل إليها ومعه الملائكة التى تتولى تيسير الإنتقال عليه . . وتعريف الحياة الأخرى له . . التى يبدؤها وهو على معرفة ببعضها . . ويتوقع وجودها وهو مقبل عليها . . وقد ظل طوال حياته الدنيا . . يسمع عنها . . ويدرس ما تردد عنها . . وجاءت الكتب السماوية جميعاً . . والأديان كلها . . تبشر بها . . وتوصى الإنسان بالاستعداد لها . .

وإذا كان الإنسان . . يتكون من الجسد والروح . . وقد ثبت هذا

علمياً ودينياً . . فإن الروح هى الجزء الأهم والأعم والأشمل والأكمل وأنها لا يسرى عليها ما يسرى على الجسد من موت وأن إحساس الروح وحياتها . . لأوسع وأفسح من حياة الجسد وإحساسه . . وأن الروح هى الأصل والجسد إنما هو تابع لها فإن ما يقع للجسم من حياة أو موت فبسبب الروح وليس العكس . . إذ لادخل للجسم فى التأثير على الروح . . ولكن المؤثر هو الروح التى تؤثر على الجسد . . وأنه إذا كان الجسد إنما يخلق خلقاً من عدم فلم تكن له حياة سابقة على حياته الدنيا . . فإن الروح بأدلة كثيرة وعديدة ثبت بأن لها حياة سابقة على حياتها فى جسد صاحبها فى الدنيا . . وفى حالات كثيرة وعند بعض الأفراد . . ومضات قليلة يتذكر الإنسان بأن حياته هذه ليست هى حياته ولما كان الجسد على سبيل القطع واليقين لم يوجد إلا مرة واحدة هى التى عليها صاحبها فى الدنيا . . فإن الحياة التى قد يحس الإنسان بأنه سبق له مباشرتها إنما حياته الروحية وفى عالم آخر . فالروح إنما كانت فى حياة سابقة . . ثم عاشت فى الحياة الدنيا مع جسدها . . ولابد أنها بمفارقة هذا الجسد لابد وأنها تذهب إلى حياة أخرى فهى حية من حياة ذاهبة إلى حياة آخرة .

ومن الدراسات التى تشير إلى قدر الروح بالنسبة للجسد . . ما توصل إليه العلماء بدراسة الموت وأسبابه فلقد كان المعتقد أن الموت

يقع لأن قلب الإنسان قد توقف . . وبذلك وضع تعريف للموت بأنه توقف القلب عن النبض . . ولكن هذا التعريف إنهار فى السنوات الأخيرة عندما استطاع العلم زراعة القلوب . . فالقلب يموت ويتوقف عن النبض . . ويخرجه الطبيب . . ويضع بدلا منه قلباً آخر . . من إنسان مات بلا سبب من القلب . . أو يستبدله بجهاز صناعى . . يشبهه فى عمله . . فتستمر الحياة بقلب غير القلب . . أو بآلة صماء . . لا تحس ولا تفهم ، . ولا تشعر . . ولا تحيا ولاتنضب ولا تضرب . . وبذلك فإن الموت لم يعد هو توقف القلب . . وظل بعد ذلك يتمسك العلم بتعريف قديم إلا أنه كان واقعاً وصحيحاً . . وهو أن الموت إنما يتم بموت خلايا المخ . . التى ما أن تفقد الدماء الحارة والهواء النقى لبضع دقائق حتى تجف وتموت . . وبموتها لابد من موت صاحبها . . فلا سبيل إلى محاولة علاجه . . ولكن هذا التعريف الذى ظل العلم يتمسك به قد انهار أيضاً منذ بضعة أشهر . . حينما أعلنت مستشفى جامعة طوكيو نجاحها فى إعادة مخ رجل للحياة بعد أن توقف نشاطه عدة شهور . . وكان لابد من إيجاد تعريف جديد وصحيح للموت . . بعد أن ثبت أن الموت ليس هو تعطل وظائف الأعضاء . . إذ ما أيسر أن تعاد للأعضاء وظائفها . . بإصلاحها . . أو باستبدالها بأخرى . أو بأجهزة صناعية مشابهة لعملها . . وليس هو تعطل خلايا المخ

وموتها . . فقد أُعيدت إليها الحياة مرة أُخرى . . وأصبح وما من تعريف أَصدق للموت من أَنه مغادرة الروح للجسم . . إذ فى حالات كثيرة والجسم فى أَتم صحة . . والأَعضاء فى أكمل حالاتها . . تغادر الروح الجسم بلا سبب غير ما سبق تقديره من الله سبحانه وتعالى من توقيت قاطع لموت صاحبها . . فيموت الإِنسان بلا سبب معروف . . وبلا علة واضحة أَو دفينة . . وبما لا علاقة له إِطلاقاً بالجسم . . وفى حالات أُخرى . . يتوقف القلب أَو الرئتان أَو الكلى أَو المخ ولكن لا يموت الإِنسان . . وهكذا لا يوجد للموت سوى تعريف علمى واحد هو ما جاءت به آيات القرآن الكريم فى النص الشريف :

(اللهُ يَتَوفَّى الأَنفُسَ حينَ مَوتِهَا وَالتى لَم تَمُت فى مَنَامِها فَيُمسِكُ التى قَضَى عَلَيْهَا المَوتَ وَيُرسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فى ذَلِكَ لآيات لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

(٤٢ سورة الزمر)

ويقرر العلم أَن النوم طرح روحى مؤقت والموت طرح روحى دائم . . وهذا ما يؤكد وجود روح الإِنسان هى الأَصل فى حياته . . وهى الظاهر فى وجوده . . وأَنها إِذا غادرته مؤقتاً . . فهو فى نوم . . وإذا

غادرته أبدا فهو إلى موت . . وأنها إذا ظلت متصلة به اتصالا مباشرًا . . فهو فى حياة . . وإذا قطعت اتصالها به . . فهو إلى الممات . . فهى بذلك باقية بعد موته . . لأنها عن طريق علاقتها بالجسد . . يكون الجسد . . فالجسد إنما هو رداء لا يهم الروح فى قليل أو كثير . ولذلك تجده يتغير كل لحظة . . وكل حين . . فلو تدبر الإنسان هذا التغير الذى يحدث للجسم وتابعه . . لوجد أن الإنسان يتجدد جسمه . . تجددًا يكاد يكون تاماً . . وكاملا . . وشاملا . . كل فترة من الزمان . . ففى كل ثانية واحدة يستبدل الجسم ما يقرب من مليونين إلى ثلاثة ملايين من الخلايا الدموية حيث تستهلك هذه الخلايا وتموت ويعوض الجسم عددًا مماثلا من خلايا جديدة . . وكذلك الحال فى الخلايا الأخرى غير الدموية . . عشرات المئات من الملايين من الخلايا تهلك كل ثانية ولابد من خلق البديل لها . . وكل أجهزة الجسم وطبقاته تتغير بصفة منتظمة ودورية . . وكل إنسان منا يلاحظ التغير الكبير الذى يبدو على جلده مثلا . . لوناً . . وشكلا . . وملمساً فجلد الإنسان هذا العام لا يمكن أن يكون هو جلد العام السابق ولن يكون جلده فى العام القادم . . وحتى فى شكل الإنسان الظاهرى يتغير الإنسان من يوم إلى آخر . . وأن كان الملاحظ أنه من الواضح تغيره كل بضعة سنوات . . فالتغير أعمق وأكبر كل عدة سنوات . . وكم منا

عندما يرى صورته طفلا فى سنواته الأولى . . ثم شاباً . . فى عنفوان شبابه . . ثم رجلا فى بداية شيخوخته . . ثم كهلا عجوزًا . . ليستبعد أن تكون كل هذه الصور المختلفة تماماً . . المتباينة يقيناً هى . لشخص واحد . . ولكن هل تغيرت روح الشخص . . أبدا . . ويتغير الإنسان لا فى شكله . . ولا فى هيئته فقط وإنما فى مركزه . وفى ثقافته . . وفى علمه ومعرفته . . ولكن يحس الإنسان برغم ذلك أنه هو نفسه . . تماماً . . لم تتغير روحه . . ولم يستبدل روحه بروح آخر . . فتغير الجسد . . دون تغير الروح إنما يشير إلى بقاء الروح كما هى فى كافة مراحل تغير الإنسان نفسه . . من جنين إلى وليد . . إلى شاب إلى رجل . . وإلى شيخ من حياته الدنيا . . إلى حياته الأخرى . .

وما نفقده من أجسامنا فى حياتنا الدنيا . . لا نحس به بعد أن نتخلص منه . . لأنه لا روح فيه . . فمثلا تنمو أظافرنا يومياً . . فنضطر إلى إزالة ما يظهر منها بعد حد معين . . وفى المتوسط نزيل من الأظافر ما طوله حوالى ٢ ملليمتر كل أسبوعين وهذا بأقل تقدير فيكون مقدار طول ما نزيله من أظافرنا فى خمسين سنة مثلا هى متوسط العمر الذى يقضيه الإنسان غالباً ما يقرب من مترين ونصف من الأظافر . . ولنتدبر الشعر الذى نقصه والأسنان التى نخلعها . . كل ذلك . . كان الإنسان يحس بها وهى فى جسده . . يؤلمه ظفره . . ويوجعه ضرسه

وتلهبه الإصابة فى شعره . . ولكن ما أن تخلص منها لم يعد يحس بها . . كما أن هذه الكميات الكبيرة من أجزاء جسمه . . قد تخلص منها . . ولم يحس بأى نقص فى روحه . بل ما تغيرت روح الإنسان يفقدها إطلاقاً . .

وخلايا الجسم وأجهزته تتغذى على مختلف الأغذية . . وبالرغم من أنها هى السبيل إلى صحتها وسلامتها . . والأصل فى حياتها . . إذ أنها من العوامل الأساسية لبقاء الجسم . . ووجوده وحياته . . إلا أنها لا دور لها فى روحه ولا أثر لها على شخصيته . . فلا يمكن للإنسان أن يتبين من منظر أخيه . . إن كان أكل خضرًا أوسمكاً . . شرب لبناً . . أم أكـل تمرًا . تغذى بلحم أو بخبز بلا إدام . . بل إن الإنسان نفسه . . ليُؤكـد أن روحه لم تتأثر بغذاءِ جسده إطلاقاً . . فلا يحس الإنسان منا بروحه وقد ظهر عليها أثر أكل اللحم . أو أنها تغيرت إذا حجب عنها اللحم . . مما يدل على أن للروح استقلالها الذى لا تتأثر معه بالخلايا الحية بأى أثر . . حتى إذا ماتت هذه الخلايا . . فلا تتأثر الروح بها بل ولا تشعر بها .

والأدلة على بقاء الروح بعد موت صاحبها . . عديدة وكثيرة وقد سبق معالجة بعضها مما يتصل بالدين ومما يتصل بالعلم فى كتب سابقه . . فالإنسان قد ثبت علمياً ودينياً أنه بالموت ينتقل من حياة إلى

أخرى هذه الحياة الأُخرى تعيش فيها الروح حياة كاملة فى البرزخ . . وهو ما بعد الموت وما قبل القيامة . . وذلك بالنص الكريم:

(وَمِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إِلَى يَومٍ يُبعَثُونَ)

(١٠٠ سورة المؤمنون)

أو ما يطلق عليه العلم اسم الحياة الأثيرية . . أَو الحياة الأخرى . . أَو حياة ما بعد الموت . . وهذه من بعض حكم الخلق . . والقصد . . ومن أَهداف الوجود . . وبعض أَغراضه . . ينتقل الإنسان من حياة إلى أُخرى . . ويتطور من صورة إلى صورة أَكمل . . ومن وجود إلى وجود أَشمل . .

هذه الحياة التى تحياها الروح فى البرزخ . . ليست هى كل حياة الإنسان بعد موته . . فقد أَثبت العلم أَن ما يحدث للجسم بعد الموت فأمر غريب بالغ الغرابة وعجيب أَشد العجب . . إذ سواء دفن الجسد فى القبر . . أَى قبر . . أم غرق فى البحر . . حرق بالنار أَو أَكلته السباع والحيوانات فإنه يتحلل إلى عناصره الرئيسية الأُولى المكونة له . . وهى عناصر التراب المعروفة والتى يتكون منها وهى الكربون والأُكسجين والأَيدروجين والفوسفور والكبريت والآزوت والكاليسوم

والبوتاسيوم والصوديوم والكلور والمغنسيوم والحديد والمنجنيز والنحاس واليود والفلورين والكوبالت والزنك والسلكون والألومنيوم . وهذا ما أثبته العلم الحديث بتحليل جسم الإنسان تحليلا معملياً وما سبق أن أورده القرآن الكريم فى آياته الشريفة كما جاء فى النص الكريم :

(أَكفرت بالَّذِى خَلَقَكَ من تُرَابٍ ثم من نُطفَةٍ ثُمَّ سَوَّاك رَجُلاً) .

(٣٧ سورة الكهف)

فالأجساد بعد أن تقبر تبدأ البكتريا والجراثيم فى تحليلها إلى تراب وهو ما يشاهد فعلا فى كافة القبور وما جاءت به آيات القرآن الكريم قبل أن يصل العلم إليه عن طريق الفحص والبحث والدراسة بالنص الشريف :

(أَءِذَا مِتنَا وَكُنَّا تُراباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) .

(٣ سورة ق)

[illegible] للميت إلى عناصره التى تكون منها . . وهذه تختلط بالترب[illegible] التربة . . فى أعماق البحر أم فى الصحراء . . أم فى الأرض . . أى أرض . . وهذه العناصر لاقيمة لها بالنسبة لمن

مات . . فهى أصلا مواد وغذاء تكون هيكل الجسم . . وقد تتغذى النباتات على العناصر فينمو بها فيصبح هذا النبات ويه عناصر تراب من جسد حى . . والأغلب أن معظم عناصر الموتى السابقين قد اختلطت بتراب الأرض ونمت بها النباتات . . ما أكل منها . . وما يؤكل . . وما سوف يؤكل فيما بعد . . ولا يزيد الأمر بالنسبة للجسد المأكول والجسد الآكل . . عن أن بعض عناصر كانت فى جسد انتقلت للاستعمال المؤقت فى جسد آخر . . ومن بعده ستغادره إلى جسد جديد . . ويكون الشأن فى ذلك شأن من يرتدى جورب أخيه . أو ردائه . . الذى مات . . فلا الميت قد اهتم بارتداء أخيه . . لجوربه . . أو حذائه . . أو ردائه . . ولا الحى قد تغير بارتدائه لهذا الجورب . . أو هذا الحذاء . . أو هذا الرداء . ولكن هناك خلايا أمرها عجيب ، خلايا تظل حية لفترات طويلة وطويلة جدًا . . لم يعرف العلم عن تفاصيلها شيئاً بعد . . فخلايا القمح تظل بعضاً منها آلاف السنين حية لا يعتريها العدم ولا يقربها الفناء . . فإذا استزرعت نبتت . . وقد وجد العلماء فى قبور الفراعنة حبات قمح مضى عليها ما يزيد على أربعة آلاف سنة . . ولما أحاطوها بظروف النمو . نمت . وكأنها حبات جديدة من محصول قريب .

وبالدراسات العلمية حول ما يحدث للجسد الآدمى بعد موته . .

وصل العلماءُ إلى أمر ما زال البحث يدور فيه وما زالت الدراسات قائمة إلا أنها تشير إلى حقائق رهيبة . . وأُمور عجيبة . . فقد وصلوا إلى حقيقة أكيدة أثناء دراسة التآكل والاستهلاك الذى يحدث فى الجسد . . هى أن كل خلايا الجسم تتآكل وتستهلك وتتجدد فى أشكالها . . عدا خلايا الجهاز العصبى من أول المخ حتى الشعيرات الدقيقة والخلايا المفردة التى يتكون منها الجهاز كله . . وهذه الخلايا التى لا تتآكل ولا تستهلك قائمة بما هى عليه . . ولا سبيل إلى إحداث أى تغيير فيها . وهذه حقيقة علمية مؤكدة مازالت الدراسات تقوم بشأنها للوقوف على مزيد من تصرفاتها . . بعد الموت . .

أما الحقيقة العلمية الثانية والتى تمس ما يحدث للجسد بعد موته . . والتى جاءت بعد دراسات معملية عديدة فى مختلف مراكز البحث العلمى فى العالم فقد أوضحها الدكتور عبد المحسن صالح بنص يقول فيه :

(قد يكون خيالى هذا أغرب من الخيال . . ولكن دعنا نعيش فى تفاصيل أعمق من الخيال . سنعيش بضع لحظات فى معمل فيلكس اشترو وموازر فى معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا لنرى بعض ما يجرى فى معامل العلماء هذه الأيام . . ثم نتخيل ما قد تؤدى إليه البحوث فى هذا المجال . . إن اشتروموازر هذا يبحث عن سر عويص من أسرار

الحياة . . يبحث عن سر احتفاظ الخلايا العصبية بالمعلومات . . وكيف نعى بها أرقام التليفونات والأتوبيسات والتواريخ ونحفظ بها الأسماء والكتب . . ثم نخرج هذه المعلومات منها فى الوقت الذى تشاء . . ثم هو يبحث مثلا عن السر الذى يعرف به الحيوان طريقه إلى منزل صاحبه . . وعن سر الكراهية بين فأر وقط . . لقد بدأ العالم تجاربه على ذاكرة قواقع تسكن بجوار شاطئ بحر . . زاحفة على صخوره . . ذاكرة قواقع . . وهل للقواقع ذاكرة . . ؟ . اصطاد الرجل عددًا من القواقع ووضعها فى حوض به ماء بحر . . وأحضر لها مصباحاً كهربياً لينير لها الحوض وأراد أن يعلمها . . شيئاً تعيه . . فى مخلها البدائى . مخ لا يخرج عن كونه عقدة عصبية صغيرة . . كان يحضر لها الطعام فى الثامنة من صباح كل يوم . . ثم يضئ المصباح . . ويضع الطعام بجوارها فى الحوض . . وفى الثامنة مساء كان يطفئ المصباح . . ويعود فى الثامنة من صباح اليوم التالى ليضىء المصباح ويضع الطعام .

كانت القواقع فى بداية الأمر لا تعرف معنى إضاءة المصباح . . ولكن بالتكرار والصبر والمثابرة تعلمت أن إضاءة المصباح . . معناها أن الطعام قد حضر . . وعرف الرجل ذلك بالملاحظة . . فكلما أضاء المصباح حدثت حركة غير عادية فى الحوض . . وبدأت القواقع فى

البحث عن طعامها فى الحال . . لقد تعلمت القواقع إذن . . ووعت هذه الأَحداث فى ذاكرتها . . إن ظواهر الأُمور تبدو أَمامنا هكذا . . ولكن تعال ننظر إلى بواطنها . . ونرى ماذا فعل بها الرجل . لكى يكشف عن سرها .

أَخذ العالم قوقعاً وحطمه وأَخرج مخه . . أَعنى تلك العقدة العصبية الصغيرة . . وفصص خلاياها . . وأَخذ خلية عصبية واحدة . قطرها يصل إلى نصف المليمتر . . وأَوصلها بسلكين رفيعين كالشعرة . . وأَوصل السلكين بجهاز اليكترونى ليسجل . ! ماذا . . ؟ . . يسجل ذكريات القوقع الذى تحطم وراح فى حوض المهملات . يسجل ذكريات خلية واحدة . . ! !

وجلس الرجل يحلل نتائج التسجيل . . وكانت دهشته بالغة . . ففى الوقت الذى كان يضئ فيه المصباح ويضع الطعام . . أَى فى الثامنة من صباح كل يوم . . كان التسجيل يرتفع إلى أَربعين نبضة أَو إشارة . . كل دقيقة . . وتستمر النبضات فى قمتها لمدة ثلاث ساعات . . ثم تهبط تدريجياً إلى عدد قليل لا يزيد عن العشرة فى الدقيقة الواحدة . . ثم تعود الخلية إلى إرسال نبضات مرتفعة مرة أُخرى فى صباح اليوم التالى . . وهكذا . . ما معنى هذا الإرتفاع فى

عدد النبضات أو الإشارات التى ترسلها الخلية ؟ . . لقد كانت العقدة العصبية فى حياة القوقع بمثابة الجهاز الواعى الذى ينظم لها حياتها تماماً كالمخ الذى فى رؤوسنا . . كانت تنظم لها تنفسها وإفرازاتها وحنينها إلى جنسها . . واحتياجها الطعام . . والبحث عنه بطريقتها . . وإحساسها البدائى . . بالعالم الذى حولها كالماء والضوء . .

خلية واحدة يتيمة . . معزولة فى طبق . . مازالت تتذكر الأحداث . . وما زالت تحتفظ بالمعلومات التى تلقتها . . خلية واحدة . ؟ غريب هذا الأمر . . ! وكرر الرجل تجربته مرة ومرة ومرات وكان يحصل دائماً على نفس النتيجة . .

ومن خلال تجاربه الكثيرة . . وقع فى مأزق . . لقد لاحظ أيضاً . . إشارات منتظمة عالية . . ولكن الرجل لم يفهم مغزاها . . وبالصبر والبحث والفكر الصائب توصل إلى حقيقة أغرب من كل ما فات . .

لقد كانت إشارات الخلية العصبية لا تتوافق فقط مع صباح أو مساء . ولا مع حب أو طعام . . بل تتوافق مع ما كان يجرى بعيداً بعيداً . . فكلما . . بدأت الإشارات الغريبة فى الظهور . . كل أربعة عشر يوماً مرة . . ذهب الرجل إلى الشاطئ ليجد المياه ترتفع . . لقد كانت هناك موجة مد . . أحست بها الخلية اليتيمة المعزولة . . أو إن

شئت الدقة . . كانت تختزنها فى ذاكرتها البدائية . . وكأنما كانت ترسل هذه الإشارات . . ظنا منها أن قوقعها المحطم لا يزال معها فتعطيه انذارًا وتحذيرًا . . ليزحف على الصخور . . ويتخذ له موضعاً مناسباً . . حتى لا تغمره المياه الحالية . . يحدث هذا رغم أن الأسباب قد تقطعت بينها وبين القوقع والبحر الذى منه جاءت . . !

وهكذا تتفاعل العقدة العصبية وهكذا يتفاعل المخ . . كل مخ . . بالأحداث التى تجرى فى داخله وتجرى حوله .

ولقد وصل العلم إلى أن الخلايا العصبية فى جسم الإنسان لا تتغير ولا تتبدل . ولذلك فقد سميت بالخلايا النبيلة أو الخلايا الثمينة . . وبذلك فهى تختلف عن كل خلايا الجسم . . وأن هذه الخلايا تظل تعمل وتحس وتستجيب حتى بعد موت صاحبها . . لتماثل الخلية العصبية المنفردة الوحيدة فى القوقع . . ولا شك أن التناسب موجود . . فجهاز الإنسان العصبى لابد أن تكون استجابته . . وإحساسه . . أبعد وأعمق وأشمل . . فإذا كانت خلية القوقع . . بعد أن مات القوقع . . تحس بالمد والجزر فى البحر . . وتعلم موعد غذاء جسدها اليومى . . فياترى بماذا تحس خلايا مخ الإنسان وجهازه العصبى بعد موت صاحبها . . وبماذا تعلم . . وكيف ترسل إحساسها . . ؟ . . ولو علمنا أن الجهاز العصبى ينتشر فى الحسم

انتشارًا كاملا فهو فى كل مكان من الجسم . . فهو تحت الجلد مباشرة بل وفيه . . وفى كل إحساس بأى ألم يكون هذا من عمل الخلايا العصبية . . وفى اليد والقدم وفى الرأس وفى كل عضو وفى ذلك يقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه الإنسان ذلك المجهول (يشمل الجهاز المركزى المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكى وهو يولد بطريق مباشر أعصاب العضلات وكذلك يوجد أعصاب الأعضاء . . إنه يتكون من كتلة رخوة هشة بيضاء تملأ الجمجمة والعمود الفقرى وهو يستقبل الأعصاب الحسية التى تصل إليه من سطح الجسم ومن أعضاء الحس ويتصل عن طريقها اتصالا مستمرًا بالكون . . كما يتصل فى الوقت نفسه بكافة عضلات الجسم عن طريق أعصاب الحركة وبكافة الأعضاء عن طريق الأعصاب الفرعية التى تتجه صوب الجهاز السمبتاوى الكبير . وعلى هذا فالكائن العضوى يتخلله من كل جانب عدد هائل من الأعصاب وتنتشر الأعصاب الفرعية المجهرية بين خلايا الجلد وحول أغلفة الغدد وقنواتها المفرزة وداخل مسالك الشرايين والأوردة والأغلفة القابضة فى المعدة والأمعاء وعلى سطح الألياف العضلية وغير ذلك فإنها تبسط شبكتها الدقيقة فى الجسم بأسره . . هذه الخلايا هى أسمى وأرق عناصر الجسم) .

هذه الخلايا كان المعتقد أنها تموت فى الجسم بمجرد أن ينقطع عنها

الغذاء والهواء ولكن ثبت عملياً أن بعد شهر من انقطاع الغذاء والهواء وظهور علامات الموت عليها . . أمكن إعادتها إلى الحياة الطبيعية الدنيوية وهذا ما يؤكد أنها كانت حية طوال مدة فقدانها للغذاء والهواء . . ولو أن الحياة كانت كامنة فيها . . فياترى إلى متى تظل الحياة كامنة فيها . . إلى عام . . أو أبعد . . إلى آلاف السنين . . أو إلى الأبد . . إن بعض الخلايا العادية ظلت الحياة كامنة فيها أربعة آلاف سنة . . ألا يدل ذلك على أنها قادرة أن تظل هكذا إلى أبعد من ذلك . . فكيف بالخلايا النبيلة التى تعتبر من أدق وأثمن وأعقد الخلايا . . هذه الخلايا العصبية التى تكون شبكة الأعصاب ابتداء من المخ إلى أدق وأبسط خلية عصبية . . والتى تنتشر على طول الجسم وعرضه وفى كل عمقه . . والتى تخزن كل ما عمله صاحبها فهى جهاز الإحساس والفكر . . ألا تشبه خلية القوقع الوحيدة . . لنعود فتذكر صاحبها بما كان منه . . وبما كان عليه . . إن هذه الخلايا . . أيا كان مكان وجودها . . فوحداتها الصغرى . . ومكوناتها الأولى . . لها استقلالها ولها كيانها التى لا تغيره ولا تبدله . شأنها شأن كل وحدات هذا الوجود . . إلا أنها تختلف عن غيرها . فى أن بها . . كل الإحساس وبها كل الشعور . . وكما أرسلت خلية عصبية وحيدة للقوقع إشارتها لتملأ بها كل جو لقوقعها تدعوه إلى أن يقوم بواجبه عند المد . .

وأن ينهض فقد حان موعد الغذاء . . ولابد أنها تحدثه بأكثر من ذلك . . ألا يكون من المؤكد أن هذه الخلايا العصبية للإنسان . . تظل تذكر صاحبها . . بما كان منه . . وبما كان عليه . . فعندما يحين موعد صلاة . . أو يحل شهر الصوم . . أو يقوم الناس للحج . . هل تثير هذه الخلايا جو السعادة لصاحبها . . لأنه كان يؤديها . . وقد حرص عليها . . أو جو الشقاء لأنه لم يكن يحرص على أدائها وقد انقضى الوقت الذى كان أداءُ كل ذلك ممكناً وسهلا وميسورًا . . وألا يرسل هذا الجهاز الشعور بالرضى عندما يـجد خيرًا يعم على الناس بعمل صاحبه الذى مات . سواء كان هذا الخير . صدقة جارية . . تظل حسناتها تتابع لأجيال عديدة . . أو علم ينتفع به تتوارثه الأحفاد وأحفاد الأحفاد . . أو ولد صالح يدعو له . . فتهتز هذه الخلايا طرباً . . إذ من صلبها من يتذكرها ويتذكر صاحبها . . بالعمل الحسن . . والدعاء الطيب . . ويتسع الخيال . . ويمتد الفكر . . ولكل إنسان أن يستعمل خياله إلى أبعد حد . . وأن يرسل فكره إلى أقصى حد . . ليتخيل ويتفكر فيما ستكون عليه خلاياه العصبية وهى فى قبرها . . أيا كان هذا القبر . فى أعماق محيط . . أو فى أعالى جبل . . أو فى بطن وادى . . أو جوف صحراء . . أو داخل نبات . . أو فى جسد إنسان أو حيوان . . ولكن ألا يؤكد ذلك بطريق علمى . .

وبدليل لا يقبل الشك أو الجدل حقيقة عذاب القبر . . فعندما يقبر الإنسان . . بأى طريق . . تبدأ هذه الخلايا عملها لتذكر صاحبها بما كان منه . . لتسعده . . أو تؤنبه . . ليرضى عما عمل . . أو يندم على ما فعل . . وألا يفسر ذلك حديث سيدنا رسول الله ﷺ لكفار قريش بعد أن قتلوا فى غزوة بدر حينما وقف على قبورهم وناداهم بأسمائهم وقال (قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) فقيل يا رسول الله أتناديهم وهم أموات فقال ﷺ (والذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب) . . إن خلايا أعصاب السمع . . تسمع . . ولكن اللسان قد تعطل بالموت عن الحديث بالطريقة المعهودة . .

وكذلك يفسر لنا قوله ﷺ (القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) .

وهذا أيضاً يفسر لنا وصية سيدنا رسول الله ﷺ حين قال للناس (لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور) . أى أن من فى القبور لهم إحساسهم بما يجرى فى الحياة الدنيا . . ولهم أيضاً إحساسهم بما فعلوا . . وإحساسهم بما كان عليهم أن يفعلوا . . تسألهم الملائكة . . وتبشرهم . . أو تعذبهم . . يسعدون عندما ترسل لهم خلاياهم التذكرة بما كانوا عليه من خير وتقوى . .

ويندمون على ما تركوا من عمل صالح . . كان فى الإمكان أن يعملوه . . وتركوه . . بلا سبب . . وبلا عذر . . إذ ما أتفه كل ما يعمله الإنسان دون أن ينال عليه الجزاء الحسن فى الآخرة . . وما أسرع ما يبلى كل عمل لا يتجه فيه الإنسان إلى الله يبتغى ثوابه . . فكل مال ذائب . . وكل متاع زائل . . ولكن الصدقة جارية . . والعلم مستمر . . والعبادة أجرها قائم فى الحياة الدنيا والحياة الأخرى . .

وبديهى أن ما فى القبور إنما هى الخلايا الحية التى لا يهم أين تكون . . فليس معنى القبر . . هو المكان المتعارف عليه . . والذى يعرف الإنسان الطريق إليه . . والحدود التى يقوم عليها . . بل إن كل ما يحتوى الخلايا إنما هو قبر بالنسبة لها . .

وما زالت الدراسات قائمة والأبحاث تجرى للوقوف على مدى ما يحس به الإنسان بعد موته مما له صلة بجسده . . ومن آخر ما وصل إليه العلم بالنسبة للإدراك الذى يتم للإنسان خارج حواسه فى حياته الدنيا . . ومما يكون له أثر فى إدراكه بعد موت جسده . . لأن هذا الإدراك إنما هو خارج محيط جسده . . ما أعلنه العلماء الأمريكيون والسوفيت فى ندوة عقدت فى لوس انجلوس فى شهر يونيه ١٩٦٩ حول الإدراك خارج الحواس . . من أن هناك دلائل على أن جسم الإنسان يقوم بتوليد القوة اللازمة لنقل الأفكار عبر آلاف الأميال . . وقد

قالت العالمة الأمريكية دكتورة ثيلماموسى التى تشغل منصب أستاذ مساعد للطب النفسي فى جامعة أوكلا . . إن علماء الفضاء فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مهتمون جدا بمسألة الإدراك خارج الحواس كوسيلة للاتصال برجال الفضاء أثناء رحلاتهم . . وقال العالم السوفيتى دكتور كوجان بمعهد بوبوف للإتصالات الألكترونية فى موسكو فى بحث تلى فى الندوة أن الحسابات القائمة على التجارب تشير إلى أن جسم الإنسان يولد أربعة أو خمسة أمثال التيار الكهربائى الذى يعتقد أنه ضرورى للتخاطب . . أى نقل الأفكار من شخص إلى آخر عبر مسافات طويلة . . وتحدث عن تجارب أجريت على آدميين عملوا كأجهزة إرسال . . وآخرين . . كأجهزة استقبال . . وتبودلت الأفكار بينهم على بعد وصل إلى مسافة تقرب من ثلاثة آلاف من الكيلومترات . . إن هذه الطاقة التى يستطيع الإنسان بها أن ينقل فكره إلى غيره . . ويستطيع بالتالى أن يستقبل فكر الآخرين فى لحظة زمنية أقل مما نتصور . . إذ تنتقل الأفكار بسرعة الكهرباء . . ومن على بعد يبلغ عدة آلاف من الكيلومترات . . كان المعتقد أنها من طاقات الروح . . حتى كشف العلم فى هذه الأبحاث الأخيرة أنها تتم عن طريق كهرباء معينة موجودة فى الجسم المادى للإنسان فهى بذلك من عمل الجسد الآدمى . . ونابعة عنه . . ولا دخل للإنسان فيها . . فلم يحدث

أن أحس الإنسان منّا بهذه الكهرباء ولم يعمل على توليدها . . أو إطلاقها . . أو استخدامها . . ولا سبيل لمعرفة عملها فى حياته الدنيا . . ولا يمكن أن تكون هذه الكهرباءُ التى يختص بها الجسد . . أمرًا بلا غاية . . أو عملا بلا قصد . . أو خلقاً بلا هدف . . فلابد أنها تختص بعمل . . وعمل كبير ورهيب . . ولأن الإنسان لم يلحظ فى نفسه هذه الكهرباءَ . . ولم يقف بعد على حقائقها . . أو عملها فى حياته الدنيا . . أتكون هذه الكهرباءُ خاصة بما هو قادم من أزمان للإنسان . . وأنها تمس مستقبله . . بعد موته . . ؟ وأنها فى حياة الجسد الدنيوية علاقتها إنما مباشرة مع الجهاز العصبى . . والخلايا العصبية . . إذ أثبت العلم أن الخلايا العصبية تتغير فيها الطاقة الكهربائية . . باستمرار . . لتسبب الإحساس . . أى إحساس . . بالألم . . أو السعادة . . أو الحركة وأن الجهاز العصبى كله يترابط فيما بينه بشبكة كهربائية خاصة . . وقد قرر العلماءُ منذ فترة غير قصيرة أن كل علمهم عما يحدث فى الأعصاب فى حالة الألم أو الحركات الإرادية هو أن تغيرًا فى الطاقة الكهربائية ينتقل على طول العصب . . والجديد فى هذا البحث هو ماوصل إليه العلماء من استخدام هذه الكهرباء خارج الجسم أيضاً . . دون أن تفقد اتصالها بالخلايا العصبية . . فيا ترى كيف . . ومتى يتم استخدام هذه الكهرباء خارج الجسم بصفة دائمة

ومنتظمة ومستمرة . . إن استخدام هذه الكهرباء فى نقل الأفكار والأحاسيس من شخص إلى آخر فى الحياة الدنيا . . يشير إلى أن هذه الكهرباء الموجودة فى الخلايا العصبية . . قد انتقلت بأحاسيس وأفكار صاحبها . . إلى إحساس وفكر آخر . . أى أنها اتصلت بخلايا الشخص المستقبل العصبية وسرت فيه . . ولما كان الوسط الذى لابد أن تنتقل فيه الإحساسات والأفكار . . هو الروح . . فيكون التفسير العلمى لهذه الحقائق المعملية العلمية الثابتة المؤكدة . . هو انتقال الإحساس والفكر من الخلايا العصبية للإنسان بالكهرباء الداخلية إلى روحه . . ثم انتقالها بالكهرباء الخارجية الخاصة بالإدراك خارج الحواس . . من روحه . . إلى روح آخر . . حيث تنتقل بكهربائيته الخارجية إليه . . ثم تدخل بكهربائيته الداخلية إلى خلاياه العصبية . . فيتم بذلك إحساس المستقبل بنفس إحساس المرسل . . وفى التو واللحظة . .

وإذا كان ذلك يحدث فى الحياة الدنيا . . حيث الروح مقيدة بالجسد . . والجسد عالق بالأرض بما فيه من طبقات مادية كثيفة . . ألا يشير ذلك إلى حدوث مثله بعد الموت . . فإن الخلايا العصبية باقية بكيانها ووحداتها . . وكهربائيتها . . والروح باقية بحالها . . ووجودها . . واستقلالها . . ألا يكون من السهل الميسور بل من المؤكد أن يتم عن طريق هذه الطاقات الكهربائية . . الخارجية والداخلية . .

الإتصال بين الروح وخلايا الجسد العصبية . . التى تحمل الإحساس والشعور . . والتى تبلغ صاحبها دائماً بما كان منه . وماكان يجب عليه . . إن هذا الإتصال لاشك يكون أبعد وأوسع وأعمق بعد الموت من الاتصال الذى يتم فى الدنيا . . على بعد آلاف الكيلومترات . . أن الاتصال التام المباشر بين الخلايا العصبية ذات الكهرباء فى قبرها . . بروح صاحبها . . اتصالا مباشرًا . . ومستمرًا . إنما يؤكد من جديد . . وبدليل جديد حياة الإنسان بروحه فى برزخه . وحياة الخلايا العصبية فى قبرها .

إن حياة الروح فى البرزخ . . أمر قد ثبت علمياً بعد أن قالت به الأديان . وإن حياة الأجزاء الهامة من الجسد التى هى أساس الحياة أمر قد ثبت علمياً كذلك بعد أن أكدته الأديان . . وتكون حياة الإنسان بعد موته . . حقيقة مؤكدة . . قد أكدها العلم وآزرها الدين . . والمتدبر لآيات القرآن الكريم التى وردت فيها ألفاظ الحياة والموت ليجد أن المعنى الذى تشير إليه الآيات والله أعلم هو أن الله سبحانه وتعالى يحيى الموتى عند موتهم . . فهم بالموت إنما يذهبون إلى حياة وذلك بنص الآية الشريفة :

(إِنَّا نَحنُ نُحْى المَوتَى وَنكتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُم وَكُلَّ شَىءٍ أَحْصَيْنَاهُ فى إمَامٍ مُّبين) . (١٢ سورة يس)

وأن استمرار الحياة بالموت ولو فى صورة مغايرة لما نعرف هو المعنى القريب للآية الكريمة :

(فَاللهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحىِ المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُل شىء قَديرٌ)

(٩ سورة الشورى)

وهـذا المعنى الذى يؤكد قيام حياة للإنسان بالموت إنما يؤيده نص الآية الشريفة :

(وَلاَ تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتلُوا فى سَبيل الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهمْ يُرْزَقُونَ)

(١٦٩ سورة آل عمران)

إذ إن الإختلاف فى حالات من مات فى سبيل الله . . ومن مات فى غيره . . إنما هو فى درجة ماهم عليه من رزق وفرحة واستبشار إذ أن الآية اللاحقة تقول :

(فَرحينَ بمَا آتَاهُم الله مِن فَضلِهِ وَيَستبشِرُون بالَّذينَ لَم يَلْحَقوا بهم مِن خَلفهم أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلاَ هُم يَحزَنُونَ)

(١٧٠ سورة آل عمران)

وحياة ما بعد الموت غير الحياة يوم القيامة التى حرص القرآن الكريم على إطلاق لفظ البعث عليها . . حتى تختلف حياة البعث عن حياة الموت . وذلك فى النص الشريف :

(ثُمَّ إنكُم يَومَ القِيَامَةِ تُبعَثُونَ)

(١٦ سورة المؤمنون)

وحتى يتأكد فى الأذهان أن حياة البرزخ بعد الموت غير حياة البعث يوم القيامة تقول الآية الشريفة :

(وَمِن وَرَائِهم بَرزَخٌ إلَى يَومِ يُبعَثُونَ)

(١٠٠ سورة المؤمنون)

وقد أورد القرآن الكريم نصوصاً تشير إلى وجود الحياة الدنيا . . والحياة الأولى . . ثم البعث يوم القيامة وذلك يمثل النص الكريم :

(كَيفَ تكفُرُونَ باللهِ وَكُنتُم أمواتًا فَأحيَاكُم ثُمَّ يُميتُكُم ثُمَّ يُحييكم ثُمَّ إلَيْهِ تُرجَعُونَ) .

(٢٨ سورة البقرة)

إذ تذكر الآية الشريفة الموت الذى كانت عليه الخليقة قبل حياتها الدنيا وهو موت الجسد إذ كانت الأجساد يقيناً فى عدم مطلق قبل الخلق . . ثم يذكر الحياة الدنيا . . والتى يعقبها الموت . . الذى نعهده والذى يعقبه الحياة الأخرى . . ثُمَّ تقرر الآية الكريمة أن بعد الحياة الأخرى . . الرجوع إلى الله . . يوم القيامة بالبعث وفى كل مرحلة من

هذه المراحل . . يحرص القرآن الكريم على أن يؤكد أنها مراحل متتابعة . . لذلك أورد ثُمَّ التى تفيد التتابع الزمنى قبل كل مرحلة . .

وهكذا فإن الإنسان بعد الموت يعيش ويحيا بروحه فى برزخه فى ظل عمله . . ويحس ويشعر عن طريق خلاياه التى تظل فى قبره . . أيا كان هذا القبر . تحت الأرض أم على سطحها . . فى محيط أو على جبل . . داخل نبتة أو فى جوف حيوان . . يحس بما كان منه . ويشعر بما كان يجب عليه . . ويظل كذلك من الموت . . حتى القيامة . .

انعدم الوزن وقامت القيامة

متى تقوم القيامة . . ؟

لا يشغل الإنسان فى حياته . . وبعد مماته . . شيئاً قدر ما يشغله هذا السؤال . . والإجابة عليه هى ما يود الإنسان جاهدا أن يعرف عنها . . شيئاً . . محدداً كان . . أم تقريبياً . . وإذا كنا نجد فى زماننا هذا من يحاول أن يتنبأ بموعد لها . . ويهتم البعض بما ينشر عنها . . رغم إيمانهم ببعد ذلك عن الحقيقة . . إذ لا يعلم غيب الساعة إلا الله . . إلا أن اهتمام الإنسان بالقيامة . . يجعله توّاقاً أن يسمع عنها . . ويفكر فيما ينشر عن موعدها . ولا يقتصر اهتمام الإنسان بموعد القيامة على هذا العصر . . أو على عصر بعينه . . بل إن الإنسان منذ عرف الموت . . وآمن بالبعث . والقيامة . . وهو يتلهف على معرفة موعد القيامة . . وبذلك فإن اهتمام الإنسان بمحاولة معرفة موعدها إنما بدأ ببداية الإنسان نفسه . . وكان وجود الرسل والأنبياء . . لاشك فرصة للناس لتسألهم عن موعدها . . فتقول آيات القرآن الكريم :

(يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ)

(٦٣ سورة الأحزاب)

ويعاودون السؤال . . وبإلحاح وإصرار . . وكأنهم يعتقدون أن الرسول لابد قد اهتم بموعدها . .

والسؤال عنها قدر اهتمامهم وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(يَسألُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لاَ يُجلِّيهَا لِوَقتهَا إلا هُوَ   ثَقُلَت فى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ   لاَتَأتيكُم إِلاَّ بَغتَةً   يَسألُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنهَا   قُل إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

(١٨٧ سورة الأعراف)

ويقرر القرآن الكريم فى وضوح وحزم أن علم الساعة اختص به الله سبحانة وتعالى وحده فلا يعلم عن موعدها غيره وذلك بالنص الشريف :

(وَتَبَارَكَ الَّذى لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلمُ السَّاعِةِ وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ)   (٨٥ سورة الزخرف)

ولكن آياته الشريفة قد أوردت عن موعدها الحقائق التى يجب على كل إنسان أن يعرفها وألا تتجاوزها معرفته عنها . . فالقيامة آتية لاشك فى ذلك ولا جدل فهى آتيه لا ريب فيها وذلك بنص الآيه الكريمة :

(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فى القُبُور)

(٧ سورة الحج)

وأن موعدها قد قرب بالنص الشريف :

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيب) .

(١٧ سورة الشورى)

وأن من علامات الساعة أن الأرض تنهض نهضة عمرانية كبرى وتأخذ فى التقدم والتزين وأن الإنسان من فرط . تقدمه العلمى والمادى ونجاحه يعتقد أنه قادر عليها يغير فيها ويبدل وذلك بالنص الشريف :

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَت وَظَنَّ أهلُها أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمرُنَا لَيلاً أَو نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كأَن لَّم تَغنَ بالأَمس)

(٢٤ سورة يونس)

ولا شك أن الإنسان قد وصّل فى العصر الحاضر إلى قمة فى الحضارة ما نظن أن هناك ما يمكن أن يتجاوزها بعد . . ولا يمكنه أن يزيد عليها . . فقد شطر الذرة . . واستخدم طاقتها . . وكيف الهواء . . وسيطر على الأجواء . اسقط المطر . . وبدد السحاب . . غاص فى البحار . . وعاش فى أعماق المحيطات . . انتقل بسرعة الصوت . .

ونقل الصورة والصوت عبر الجبال وبين البحار . . طار فى السماء . . وغزا الفضاء . . هبط على القمر . . وأرسل أجهزته إلى الشمس والمريخ والزهرة . . فهل هناك بعد ذلك أى احتمال لمزيد من التقدم . ألم يعلن الإنسان بأنه قادر على تسخير العلم . . إلى أبعد حد . . وأنه لا مستحيل عليه . . ألا يكون ذلك الإيذان بقرب القيامة . . وألا يكون قد جاء أشراطها . .

فإن القرآن الكريم يقرر بلفظ واضح أن علامات القيامة قد وضحت وحان وقتها وذلك بالنص الشريف .

(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَد جَاءَ أَشْرَاطُهَا)

(١٨ سورة محمد)

فياترى إلى أى حد اقتربت القيامة . . هل قد حان أوانها فتقوم حالا . . أو تكون غداً . . أو فى عامنا الحالى . . أو فى هذا القرن . . أم أن القرب معناه أن ما مضى من الدنيا هو أكثر مما بقى . . وأن ما عليه الإنسان من تقدم سوف يقف إلى ما وصل إليه . . حتى تقوم القيامة . . أو أنه يفقد ما وصل إليه . . ويعاد مرة أخرى فى أجيال وأجيال إلى أن يصل إلى قدر ما كانت عليه أو أكثر فتقوم القيامة . . فإن شواهد التاريخ لتشير إلى حضارات . . قد تكون مماثلة لما نحن عليه

إن لم تزد . . قامت من أجيال وقرون سحيقة . . واندثرت . ثم عادت فى أجيال لاحقة عليها . إن الله وحده أعلم وإليه وحده يرجع ميعاد القيامة وأمرها وفى ذلك تقرر آيات القرآن الكريم نصاً كريماً قاطعاً إذ تقول :

(إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلمُ السَّاعَةَ)

(٤٧ سورة فصلت)

وهكذا فى لحظة محددة سبق تقديرها فى علم الله جل شأنه منذ الأزل . . ستقوم القيامة . . وقد اتفقت الدراسات العلمية فى آخر أبحاثها وما وصلت إليه من حقائق عن هذا الكون مع ما جاءت به آيات القرآن الكريم بخصوص القيامة . . فيقول حجة الفلك العالمى السير جيمس جينز فى كتابه الكون الغامض (إن الحياة كما نعرفها لا يمكن أن تبقى إلا فى حالات مناسبة من الضوء والحرارة ونحن إنما نعيش لأن الأرض تستقبل من إشعاعات الشمس المقدار المناسب بالضبط . . فإذا اختل هذا التوازن . . ورجحت الكفة نحو أحد الاتجاهين . . نحو الزيادة أو النقص . . فإن الحياة لابد أن تختفى من الأرض . . وحقيقة الموقف هى أنه من السهل جداً أن يختل هذا التوازن . . ولا بد أن يكون الإنسان الأول عند ما كان يقطن فى المنطقة المعتدلة من الأرض قد شاهد بشىء من الفزع عصر الجليد يقترب من

موطنه . . لقد كان يرى أنهار الجليد فى كل عام تتقدم باطراد فى الوديان ويحس أن الشمس فى كل شتاءٍ أقل مقدرة على أن تمد الحياة بالحرارة اللازمة . . ولابد أن يكون قد ظهر لنا الآن أن الكون يناصب الحياة العداء . . ونحن أبناءُ هذه الأيام المتأخرة الذين نعيش فى المنطقة المعتدلة الضيقة المحيطة بشمسنا . . ننظر إلى المستقبل البعيد فنرى عصرا جليدياً من نوع آخر يهددنا . . وتلك مأساة تنتظرنا نحن أيضاً . . فربما قدر علينا أن نموت من البرد . . على حين أن الجزءَ الأكبر من مادة الكون لا يزال شديد الحرارة . . لا يسمح للحياة أن تستقر فيه . . ذلك أن الشمس ليس لها مصدر خارجى تستمد منه حرارتها . . ولابد إذن أن يقل بالتدريج مقدار ما تبعثه من إشعاع هو مصدر الحياة . . فإذا استمرت الحال كذلك فإن المنطقة المعتدلة من مناطق الفضاءِ . وهى وحدها التى توجد فيها الحياة تقترب من الشمس شيئاً فشيئاً . . وإذا أُريد أن تبقى أرضنا صالحة للحياة . . فلابد لها أن تقترب دائماً من الشمس المحتضرة . . لكن العلم يخبرنا أن الأرض لا تقترب من الشمس . . بل إن قوانين الحركة وهى قوانين ثابتة لا تتحول . . تعمل حتى فى وقتنا هذا على أن تبعد أرضنا عن الشمس . . وتدفعها نحو مناطق البرد والظلام الخارجية ومبلغ علمنا أن هذه القوانين ستظل فى عملها حتى تجمد الحياة على الأرض وتنعدم . . إلا إذا وقع قبل ذلك

اصطدام سماوى . . أو وقعت واقعة أخرى هائلة . . فأودى هذا أو أودت تلك بالحياة على عجل قبل ذلك الميقات المحتوم . . وهذا الخطر المنتظر لا تتعرض له أرضنا وحدها . . بل إن شموساً أخرى لابد أن تموت . . كما تموت شمسنا . . وكل حياة يمكن أن تكون على كواكب أخرى لابد فى النهاية أن تلقى ذلك المصير التعس . . كذلك يقص علينا علم الطبيعة القصة نفسها التى يقصها علم الفلك . . ذلك أننا إذا صرفنا النظر عن جميع الاعتبارات الفلكية . . نجد القانون الطبيعى العام . . الذى يعرف بالقانون الثانى لعلم الديناميكا الحرارية . . ينبىء بأن الكون لا يمكن أن يكون له سوى نهاية واحدة . . هى موت الحرارة . . حين تتوزع جملة طاقة الكون توزيعاً منتظماً . . فتصير أجسام الكون كلها فى درجة حرارة واحدة . . وستكون هذه الحرارة منخفضة انخفاضاً يجعل الحياة مستحيلة . . ولا يهم كثيراً أى طريق يصل بالكون إلى هذه الحالة النهائية . . ذلك أن نهاية الرحلة . . لن تكون سوى الفناء الشامل . .)

فهناك حقيقة علمية وصل إليها العلم وهى أن الشمس لابد أن تتناقص حرارتها ويقل إشعاعها . . وتموت كما تموت الشموس الأخرى . . كتلك التى ماتت فى الكون . . والتى تموت . . والتى [illegible] أن تموت . . وهذه الحقيقة العلمية جاء بها القرآن الكريم [illegible]

جميل . . إذ أغنى لفظ واحد . . عن عدة ألفاظ وجمل ، بل ويؤدى اللفظ القرآنى الواحد . . المعنى الدقيق العلمى الذى لا تؤديه عدة ألفاظ علمية مجتمعة . إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(إِذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

(١ سورة التكوير)

ولخطورة التكوير . . وأهميته . . ولتوجيه نظر الإنسان إلى ضرورة دراسته . واستخراج العبرة منه . . والوقوف على نتائجه . . فإن القرآن الكريم قد سمى إحدى سوره الشريفة باسم سورة التكوير . . والتكوير هو أن تلف الشمس نفسها . . ليخبوا ضوؤها . . وتقل حراراتها . . وهذا التكوير لابد قبله أو بسببه أن تتسع مساحة الشمس . . حيث تتمدد وتكبر ويمتد سطحها المشع لتنخفض بذلك حرارتها ولو بضعة آلاف من الدرجات وتكون نتيجة هذا التمدد . . أن تخبوا النجوم الأخرى . . وكأن أمر هذا التمدد وما يصحبه . . يكون عاماً . . وشاملا إذ تقول الآية الثانية بعد تكوير الشمس :

(وإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَت)

(٢ سورة التكوير)

وانكدرت أى انطمس نورها . . فلا يظهر . .

وبتمدد الشمس . . واتساع مساحة سطحها . . يشتد جذبها لكواكب مجموعتها . . فيجتمع الشمس والقمر وقد أورد القرآن الكريم هذه الحقيقة بنص الآيات الشريفة :

(فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ . وَخَسَفَ القَمَرُ . وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ)

(٧ – ٩ سورة القيامة)

أى عندها يتحير بصر الإنسان من الفزع والدهشة . . فقد ذهب ضوءُ القمر . كما ذهب ضوءُ النجوم الأُخرى والشمس . . ثم كورت الشمس لتجمع القمر معها . .

وبذلك فإن انتهاء الحياة على الأرض . . وقيام القيامة . . إنما سيتم عن طريق ما يحدث فى السماءِ وما فيها . . إذ بقدرة الله . . وإرادته . . ستتغير أَحوال السماءِ . . وما فيها . . فإن السماءَ ستنشق بنص الآية الكريمة :

(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت)

(١ سورة الانشقاق)

وبانشقاقها تنفطر إلى أَجزاء عديدة بالنص الشريف :

(إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرت)

(١ سورة الانفطار)

ولأهمية الانشقاق والانفطار . . وتوضيحاً لأثره . . على الإنسان بل والحياة كلها . . فإن القرآن الكريم قد أطلق على سورة من سوره الشريفة . . اسم سورة الانشقاق وعلى سورة أخرى اسم سورة الانفطار .

وبهذا الانشقاق والانفطار تصبح السماء حمراء ملتهبة فيها كبقايا الحريق من كدارة ومواد عالقة وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَت وَردَةً كَالدهَان . فَبِأَى آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)

(٣٧ – ٣٨ سورة الرحمن)

ولاشك أنها تصبح ضعيفة لأنها لم تعد محكومة بالقوانين التى كانت تجعلها قوية ومتماسكة وفى ذلك تقرر آيات القرآن الكريم هذه الحقيقة بالنص الشريف :

(وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِى يَومَئذ وَاهيَةٌ)

(١٧ سورة الحاقة)

وتصبح ذات منفرجة بسبب هذا الانشقاق إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَت)

(٩ سورة المرسلات)

ويظهر فيها ما يشبه الأَبواب بل تصبح هى وكأَنها أَبوابٌ بالنص الشريف :

(وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَت أَبْوَاباً)

(١٩ سورة النبأْ)

لقد أَصبحت السماءُ شيئاً مغايراً . . فهى كالفضة المذابة الملتهبة . . بنص الآية الكريمة :

(يَومَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهل)

(٨ سورة المعارج)

وأُزيلت السماءُ بما فيها بهذه الأَحداث وكأَنها كشطت بنص الآية الشريفة :

(وَإِذا السَّمَاءُ كُشِطَت)

(١١ سورة التكوير)

طويت السماءُ التى كنا نعرفها كما يطوى السجل الكتب وفى دلك تقول آيات القرآن الكريم .

(يَومَ نَطوى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجلِّ للكُتُبِ كَمَا بَدأْنَا أَوَّلَ خَلق نعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنا كُنَّا فَاعلينَ)

(١٠٤ سورة الأَنبياءِ)

وبذلك فإن الأَرض لابد أَن تزول فقد اختفت الجاذبيات . . فلم يعد يمسكها ما يحول بينها وبين الهاوية . . إن إرادة الله قد قدرت أَن تمسكها إلى حين لحظة . سبقت فى علم الله حيث لا يمسك بالأَرض شيئاً بعد . . فتتحرك الأَرض حركة . رهيبة . وبسرعة خاطفة . . قوية . . كأَنها تحمل لتدك دكاً بنص الآية الشريفة :

(وَحُمِلَتِ الأَرضُ وَالجبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)
(١٤ سورة الحاقة)

ويتم قيام القيامة بأَن يأْمر الله فى لحظة محددة بأَن ينفخ فى بوق معد فيصعق من فى السماوات والأَرض من مخلوقات إلا من شاءَ الله . . وتتوالى هذه الأَحداث الرهيبة . . ثم ينفخ فى البوق مرة أُخرى . . فإذا بالخلق جميعاً يقومون للحساب وذلك بالنص الكريم :

(وَنفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فى السَّمَاوَاتِ ومَن فى الأَرض إلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخرىَ فإذَا هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)
(٦٨ سورة الزمر)

وإن أَمر قيامها . . لأَكبر من أَن يوصف . . وَأَدْهَى من أَن يسطر . وأَسوأَ من أَن يتخيل . . وحتى تقترب بعض صورتها من الإنسان فإن القرآن الكريم قد قرر أَن قيام القيامة إنما هو زلزلة الأَرض وذلك بالنص الشريف :

(إِذَا زلزلَت الأَرض زلزَالَهَا)

(١ سورة الزلزلة)

وأفرد سورة باسم سورة الزلزلة . . حتى يتجه الإنسان بدراسته وتخيله إلى محاولة تصور زلزلة الساعة التى تنهى الحياة على الأَرض . . وحتى يمكن تصور بعض أَمر هذه الزلزلة فإن ما تداولته التقارير الرسمية من وصف للدمار وحال الناس فى الزلازل التى تقع فى بعض مناطق الأَرض فى الحياة الدنيا والتى لا تعتبر شيئاً بالنسبة لزلزلة الساعة . . إنما أَمر يوضح بعض ما ستكون عليه حال الأَرض والناس يومها فعن زالزال سان فرنسسكو الذى وقع فى الدقيقة الثانية عشرة من الساعة الخامسة من يوم الأَربعاء ١٨ أَبريل عام ١٩٠٦ والذى استغرقت أَعنف هزاته ٤٨ ثانية أَى أَربعة أَخماس دقيقة وشمل منطقة طولها ٣٠٠ ميل على الساحل الأَمريكى الغربى شمال سان فرنسسكو وجنوبها وبلغ عرضها ٤٠ ميلا تقول التقارير التى نشرتها الجهات الرسمية إن الأَرض تزحزحت من مكانها وكان من أَثر هدا التزحزح أَن انفلقت جدوع الأَشجار القائمة فوق الشق كما تنشق أَعواد الثقاب . . أَما البيوت والمخازن والطرق العامة فقد انفتق ما بينها وتباعد بعضها عن بعض . وأَما مبانى سان فرنسسكو المشيدة بهياكل الصلب فقد مادت ذات اليمين وذات اليسار حتى كادت تمس الأَرض . . أَما المبانى الأُخرى فقد

تقوضت فى بضع ثوان . . ولم يبق على وجه الأرض فى المنطقة وما حولها من قائم . ولم يبق حى إلا وهو فى فزع . . كالمجنون . . ويقول التقرير إن الكارثة الحقة وقعت بعد الزلزال وبسببه . . فقد شبت النار من جراء كسر أنابيب الغاز وتماس الأسلاك الكهربائية وانقلاب المواقد . . ولم يكن من الممكن إطفاء النار . . فلم يكن هناك ماء . . فقد حطمت الزلزلة أنابيب الماء . . فاتصلت النيران المتفرقة بعضها ببعض فصارت ناراً واحدة مستعرة . وما كان يتجاوب فى الجو إلا أصوات الاستغاثة من المحاصرين بالنار . . يطلبون من غيرهم إطلاق الرصاص عليهم لينتهى بذلك عذابهم . . وظلت النار متأججة طوال نهار الأربعاء وليلة الخميس وليلة الجمعة إلى أن أتت النار على كل ما يمكن أن يحترق فاحترق وبذلك خمدت بعد تدمير شامل وكامل للمدينة وما حولها . .

هذا فى زلزال لم يدم إلا أقل من دقيقة فكيف الحال لو استمر أكثر . وكان فى منطقة لا تزيد على بضعة أميال فكيف لو زادت إلى آلاف . . بل لو زلزلت الأرض كلها . . ! !

وتقرر الدراسات العلمية أن القوة التى تنطلق من الزلزل : تعادل انفجار مائة ألف قنبلة ذرية من النوع الذى دمر هيروشيما بقنبلة واحدة وأنهى الحرب فى عام ١٩٤٥ . . وأن الزلزلة تسبب تصدعاً فى القشرة

الأرضية وانزلاقاً فى طبقات الصخور فى مختلف الجهات . وتصل الصدمة إلى مسافة لا تقل عن ١٨٠ ميل وأن الموجة الأولى أو الابتدائية للزلازل تسير بسرعة ٥ ميل فى الثانية أى ما يزيد على عدة أضعاف سرعة انطلاق قذائف البارود . . وتشير التقارير والدراسات العلمية إلى أن الخوف والفزع والرعب الذى يصاحب الزلازل إنما يسبب جنون الأحياء . . ولوثتهم . . إذا ما عاشوا ونجوا من الموت المفاجىء بسبب الخوف أو القتل بسبب الاضطراب وعدم تقدير الاتجاه الصحيح الذى يجب عليهم أن يسلكوه . . لفقدانهم صوابهم . .

إذا ما تدبر الإنسان ذلك . . وتخيل الزلزلة الواحدة . . التى ستشمل الكرة الأرضية بأجمعها . . والتى ستنهى الحياة من عليها . . لأمكن أن يقف على بعض التفسير للآيات الكريمة فى وصف هذه الزلزلة والتى تقول :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إن زَلزَلة السَّاعَةِ شَىءٌ عَظيمٌ . يَومَ تَرَوْنَهاَ تَذهَلُ كُلُّ مُرضعَة عَمَّا أرضَعَت وتَضَعُ كُلُّ ذَات حَمل حَملَها وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُم بسُكَارَى وَلَكن عَذَاب الله شَديدٌ)

(١ – ٢ سورة الحج)

وذهول الأم عن وليدها . . والمرضعة عن رضيعها . . وإجهاض

الحامل . . وتصرف الناس بلا عقل وبلا تروى إنما يشير إلى هول هذه الزلزلة . . ولاشك أن كل إنسان منا . قد مر بما يجعله لو تدبر ما سيكون حال هذه الزلزلة . . لوقف على بعض ما يلقاه الناس ساعتها . . إذ بصرف النظر عن الخسائر التى تقع بسبب الزلازل . . فإن خوفاً عميقاً . . ورعباً قاتلا . . يشمل الإنسان بمجرد إحساسه . . بوقوع زالزال . . وقد يتعرض الإنسان فى يومه . . إلى أخطار لا تقل عن خطر الزلزال . . أخطار الحوادث . بكل أنواعها . . ولكن لا تثير فيه . . اطلاقاً ما يثيره الزلزال . . ووقوعه . . بل إن الأعجب من ذلك . . والأغرب . . الخوف والاضطراب والفزع الذى يلحق بالحيوانات . . قبل وقوع الزلزال . . بل أصبحْ اضطراب الحيوان وفزعه . . والرعب يستولى عليه . . علامة أكيدة على قرب وقوع زالزال . . ولاشك أن ذلك إنما يشير إلى أن فى النفس ما يوحى إليها بأن الزلازل إنما هى صورة يتذكر بها صاحبها تلقائياً وبلا شعور بأن هناك زلزلة تقوم من هولها القيامة . . وأن القيامة مرهونة بهذه الزلزلة . . لذلك فإنه يعتريه الفزع . . والخوف . . كما نعهد . . وكما مر علينا . .

يقوم الناس . . الخلق جميعاً . . بأن تعود الأرواح من البرزخ . . إلى الأجساد التى ماتت وقبرت أينما تكون . . وهذا اللقاءُ لابد منه . .

ولذلك فإن كل كائن حى لابد أن يصعق إذا ما حل موعد القيامة وهو مازال حياً . . حتى تفصل روحه عن جسده . . فهذا من التطور الذى كتبه الله جل شأنه على البشر لتكتمل دورة تامة لحياة مختلفة الأشكال والتطور . . إلا أنها كلها تكون سلسلة . . لا يعرف الإنسان وهو فى حياته الدنيا أولها . . ولا يعرف آخرها . . إلا أنه لابد أن يسير فيها . . حتى يصل إلى نهايتها . .

إن الروح لاشك منذ غادرت الجسد الترابى وهى حية فى برزخها . . وتوجد عشرات الأدلة الدينية والعلمية والعقلية والمنطقية على أنها لا تفنى ولا تموت وأنها تغادر الجسد بالموت إلى البرزخ لتعيش وتحيا . . حياتها الخاصة بها . . لتعود مرة أخرى فى نفخة القيام من البرزخ إلى الجسد . . ولكن كيف يتم قيام الجسد وقد تحلل إلى تراب ؟ . . إن إعادته من تراب إلى ما كان عليه أمر لاشك لا يعجز عنه الله سبحانة وتعالى . . فإن قدرته . . أكبر وأعظم . . من أن يقوم شك فى إمكانياتها . . ومن المنطق والعقل أن نقول إن إعادة الخلق . . أيسر وأسهل من الخلق لأول مرة . . فقد خلق الله الإنسان من جسد وروح . . من عدم مطلق أول مرة . . ولذلك فإن إعادته وما زالت منه بقايا بل وما زال كله موجوداً . . هو أمر أيسر وأسهل . . وهذا المنطق والعقل أورده القرآن الكريم فى النص الشريف :

(وَهُوَ الَّذى يَبدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيْه)

(٢٧ سورة الروم)

ولقد بحث العلم فى أمر الجسد وما يطرأ عليه . . وتابع العلماءُ ما يحدث لعناصر هذا الجسد إذا ما تحلل ودرسوا خلاياه الحية . . وما يقع لها . . بعد موت صاحبها – بل إنهم وجدوا عجائب رهيبة . . تشير إلى أن الإنسان ليس هو الكائن ذو الأبعاد المعروفة من طول وعرض . . ووزن . . وأنه ليس فقط المادة التى يتكون منها الجسد . . بل إن هناك عجائب لم يتمكن العلم من حلها . . أو حتى الوصول إلى تعريف لها . . فمثلا . . احتار العلماءُ فى ذاكرة الإنسان . . أين هى . . أين تقع معلوماته . . التى تتنوع وتتعدد . . وقد عرف أنه لا مكان مادى لها فى جسده . . بل كيف يحفظ الطالب دروسه . . فإنه مثلا يستذكر الكيمياءَ . . فيستوعبها ويحفظها ثم إذا ترك كتبها . . وبدأ فى مذاكرة الطبيعة . . فكأنه يبدأ . . وصفحة ذاكرته جديدة . . تستطيع استيعاب ما يدخل لها . . ويحفظها . . ثم إلى غيرها . . وغيرها ترى . كم كتب حفظها الإنسان . . وكم أشعار يحفظها . . أين توجد كل هذه الألفاظ . . ملايين الملايين من الكلمات . . مرتبة ترتيباً خاصاً . . أين توجد . . لا مكان لها فى جسم الإنسان المادى . . وأين يتحفظ بها . . وبمجرد أن يتذكر كلمة منها . . تتابع إلى مخيلته . . وذاكرته . . إن

لكل إنسان عالمه . . المجهول الذى يمتد بعيداً عن الحسد المادى . . والروح الخالدة . . ووحد العلماءُ أَن دراسة الجسد المادى أَيسر عليهم وأَسهل . . فإنه يتكون من خلايا حيه . . أَمكن عزلها . . وتحليلها وتصويرها . وما يصل إِليه العلم فى شأْنها يجعلها أَكثر تعقيداً وأَشد غرابة مما يمكن للإنسان أَن يتصور أَو يتخيل أَو يظنه . .

إِن الحلية رغم صغرها الشديد . . ودقة حجمها الرهيب . . إِنما هى كيان عضوى معقد . . إِلى أَبعد حدود التعقيد . . وأَنها لا تشبه بحال الصورة المجردة التى دائما يقرر علماءُ الكيمياءِ أَنها هى الحلية . . على أَنها نقطة من الجيلاتين يحيط بها غشاءُ شبه مسامى . .

لقد حيرت العلماءَ الخلية الحية التى يتكون جسم الإِسان من ملايين الملايين منها والتى لا حصر لها ولا عدد . بالنسبة لطاقة الإِسان على الحصر والعد . . إِنها شىءٌ مما يروى فيه الخيال . . وفى الحكاية . . وكما يقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة الذى ظل أَعواماً عديدة يبحث فى الخلية الحية للإِنسان (إِن تعقد الخلايا الحية الظاهرى شديد جداً وتعقدها الحقيقى أَشد . . وتبدو النواه باستثناء النويات فارغة تماماً . . وهى مع ذلك تحتوى مادة عجيبة . . فى خصائصها) إِن هذه الخلية الحية فى الإِنسان . . تتصرف خارج جسمه . . تصرفات تختلف تماماً عما تتصرف به فى داخله . .

ومظاهرها . . وحركتها . . تغاير تماماً مظاهرها وحركتها وهى فى جسم صاحبها . . فهى فى الجسم تقوم بأُمور معينة . . لأَنها تتصرف بطريقة . . محددة . . فإذا انتهى الجسم . . فإنها لاشك تقوم بأُمور مغايرة . . لأَنها تتصرف بطريقة أُخرى . . مختلفة تماماً . . فلقد قام العلماءُ بتربية قطعة من نسيج حى لأَول مرة صناعياً فى ١٧ يناير من عام ١٩١٢ . . واستمرت تربيتهم لهذه القطعة من النسيج فترات طويلة . . وكرروا التجارب . . ودرسوا النتائج فوجدوا حقائق رهيبة وغريبة . . فى تصرفات الخلية الحية الإِنسانية . . بعد مغادرتها لجسد صاحبها . . منها أَن السرعة التى تتكاثر بها الأَنسجة الحية خارج الجسم . . سرعة رهيبة تفوق سرعة تكاثرها فى الجسم ملايين الملايين من المرات . . بل إِن الدكتور الكسيس كاريل . . وأَحد المشرفين على هذه التجارب قدر أَن قطعة صغيرة تحتوى على بضعة خلايا حية فردية . . لو استمرت تربيتها خارج الجسم الإِنسانى لوصلت هذه القطعة التى لا يزيد حجمها على ملليمتر مربع فى غضون سنة واحدة . . قدر وزن الشمس ١٣ أَلف مليون مرة فكيف لو استمرت كل خلايا الجسم فى عملها خارجه ؟ . . . وما الذى يتحكم فى الخلية الحية ليجد من هذا النشاط الرهيب . . . وإِلى أَى هدف تسعى الخلية الحية . . فى الجسم . . وتسعى خارجه . . إِذ لاشك أَن الهدف

مختلف . . وهى داخل الجسم . عن الهدف الذى تسعى إليه وهى خارج الجسم . . ووجد العلماء . . أَنه فى حالة تربية الخلايا خارج الحسم يجب أَن تغمر الخلايا فى مقدار من السائل الغذائى يعادل أَلفى مثل حجمها حتى لا تتسمم خلال بضعة أَيام من فضلات غذائها . وهذا يخالف حالتها داخل الجسم الإنسانى الحى . . إذ يكفى للإنسان أَن يتغذى على لقيمات صغيرة يعيش عليها . . وإلا لو تصرفت الخلايا داخل جسمه . . كما تتصرف خارجه لوجب أَن يأْكل الإنسان من الغذاء كمية تزيد على أَلفي حجمه . . وكلما هضم بعضها . . لابد أَن يحصل على بديلها . . وتكون وجبة الإنسان ما يملأُ مخزناً . . كبيراً يسع المين من الرجال . . كما أَنه يجب أَن يكون حول هذه الخلايا خارج الجسم جو غازى لتتنفس فيه يزيد على عشرة أَمثال وسطها السائل .

وكأَن لهذه الخلايا . . حياة خارج الجسم تغاير حياتها داخل الجسم . وتختص بأُمور معينة . . خارجه . . تختلف عن تلك التى تمارسه داخِله . . وإنه فى كل حالة تحكمها قوى . . معينة تسيطر على تصرفتها . . وعلى أَعمالها لتسير فى خطها المقرر . . وتصل إلى مستقبلها المحدد . . وإذا كان هذا ما وجده العلماءُ إذا ما وضعت الخلايا الحية . . فى سائل غذائى . . كونه العلماءُ . . فما التصرف عندما تنفرد

هذه الخلايا . . فى وسط آخر . . لا هو فى الجسم . . ولا فى سائل غذائى . . هل تكمن فيها الحياة . . إلى حين . . أم ترى تستمر بطريقة أُخرى . . وما تصرف هذه الخلايا . . عندما تحاط بجو يغاير هذه . . وتلك . . جو . . الله أَعلم بشأْنه . . هو جو القيامة . . أَتتحرك . . أَم تتكاثر . . أَم تتصل ببعضها . أَم تنادى كل خلية على صاحبها . . ؟ .

إنِ تجمع الخلايا قد ثبت معملياً . . فقد قام العلماءُ بتجارب متعددة على تفصيص أنسجة مختلفة من كائنات متغايرة . . ثم خلطوا هذه الخلايا خلطاً تاماً . . ومزجوها . مزجاً كاملا . . ووضعت على لوحات العرض المعملى . . فكانت النتيجة الرائعة العجيبة . . التى تؤكد اجتماع خلايا الإنسان . . فى عودة عند البعث . . لقد وجدووا أَن خلايا كل كائن تزحف زحفاً سريعاً . . رهيباً . . لتجتمع . . بل الأَعجب . والأَشد إثارة . . أَن خلايا كل جهاز فى كل كائن . . كانت تتجمع معاً فوراً . . فخلايا كبد الضفدعة .. تجمعت سوياً . وخلايا قلبها .. كذلك وخلايا طحال الأَرنب . . وخلايا كلية الكلب . . وهنا أَطلق العلماءُ على هذه الظاهرة . . ظاهرة تجمع خلايا كل كائن مع بعضها . . وكل جهاز مع بعضه . . ظاهرة الحنين إلى التجمع . . وهكذا لابد أَن تعود خلايا كل جهاز فى الإنسان إلى الاجتماع . . بعد أَن تجتمع كل خلاياه . .

وما وصل العلم إليه بخصوص هذا الجمع . . بالتجارب الطويلة والدراسات العديدة . . قد قال به القرآن الكريم فى النص الشريف :

(أَيَحسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجمَعَ عِظَامَهُ)

(٣ سورة القيامة)

وقد وصل العلم فى دراسته للجسم الإنسانى إلى حقيقة رائعة . . تؤكد أَن لكل إِنسان استقلاله الكامل عن أَخيه . . بحيث أَمكن الوصول إلى ما أَسماه العلماءُ فردية الأَنسجة . . فيقول الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه الإِنسان ذلك المجهول (نستطيع فى غير ما عناءٍ أَن نميز الأَفراد بعضهم عن البعض الآخر . . بملامحهم وإِيماءاتهم . . ومشيتهم . . وبخصالهم العقلية . . والخلقية . . وعلى الرغم من التغييرات التى يحدثها الزمن فى المظهر الخارجى للأَفراد فيمكن إِثبات شخصيتهم بفضل أَبعاد أَجزاءٍ معينة من هيكلهم العظمى . . وللمثال . . فإِن الخطوط فى راحة اليد ذات شكل لا يمحوه الزمن . . وإِن بصمة الأَصبع هى التوقيع الحقيقى للفرد . . ولكن شكل الجلد ليس سوى تعبير عن فردية الأَنسجة . . وتتضح فردية الأَنسجة على النحو التالى . . يوضع على سطح جرح قطع من الجلد يؤخذ بعضها من المريض نفسه . . وبعضها الآخر من أَحد أَصدقائه أَو أَحد أَقاربه . . فإِذا مضت بضعة أَيام وجدنا القطع

المأخوذة من المريض نفسه تلتئم مع الجرح وتنمو . . بينما تنفصل القطع الأخرى وتختفى . . تبقى الأولى حية . . بينما تموت الأخرى) .

هذه الفردية فى الأنسجة هى التى تحول دون الإفادة طبياً من نقل الأعضاء . . حتى الآن . . وتحمل إلينا الأنباء الطبية دائماً . . فشل محاولات زرع الأعضاء السليمة المأخوذة من أفراد ماتوا مكان أعضاء ماتت فى أحياء . . وما من سبب إلا رفض الجسم لأن يُدخل فيه أجزاءً غريبة عليه ولو أنها مشابهة تماماً للأجزاء المستبعدة . . إذ يحاول الجسم دائماً الاحتفاظ بنفس أعضائه فيرفض الجسم إدخال قلب من آخر . . ومهما قام الأطباء . ومهما بذلوا . . ومهما حاولوا التغلب على هذا الرفض فإن الجسم يتمرد فى لحظة . . ويموت . . وما ذلك إلا حفاظاً من الجسم على عدم اختلاط أعضائه بأعضاء غيره . . وإذا نجح الطب فى استنباط الوسائل التى يتغلب بها على هذه الخاصية . . فقد يقوم الجسم . . بعزل العضو الأجنبى . . الدخيل عليه . . عزلا كاملا . . فيعيش ويحيا . . ولكنه فى حصار كامل . . حتى لا يندمج مع الجسم . . وهذا ما قرره الطب . . واتفق عليه الرأى بين العلماء فى مستقبل زرع الأعضاء الأجنبية على الجسم . . داخله . . ألا يشير ذلك إلى الفردية المطلقة التى تحكم أجزاء الجسم وأنسجته . . وألا تشير هذه الفردية . . إلى بقاء الجسم فى حالة استقلال كامل عن غيره . . بحيث

مهما اختلطت الخلايا .. والأنسجة .. فلا سبيل إلى اندماجها .. ودوبانها بعضها فى بعض .. بل يظل كل كائن .. بنفسه .. وبجسده .. وخلاياه .. منفردا .. متفردا وأما العناصر المغذية .. التى تكون الطول .. والعرض .. والوزن .. فإنها متشابهة . . ومتماثلة . وأية كمية تدخل إلى الجسم لتكون أبعاده . . فإنها كالرداء . . يمكن خلعه . . واستبداله . . وارتداءُ الإنسان لرداءِ أخيه لا يؤثر على شخصيته . . ولا على تكوينه . . ولا على رسمه . . ولا على ملامح وجهه . . ولا على قدر ذكائه ولا على أخلاقه . . وهذه العناصر يمكن بسهولة ويسر . . إضافتها إلى الكيان البشرى بعد أن تجمع الخلايا . . والأجهزة . . وحتى هذه الكميات من العناصر التى تأخذها الأرض من الجسم . . وزنها وقدرها . . وتحولها . . معلوم عند الله . . وحقاً وصدقاً ما يقوله القرآن الكريم فى النص الشريف :

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنهُم وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ)

(٤ سورة ق)

وهكذا يثبت العلم بتجاربه المعملية ودراساته التجريبية . . ظاهرة تجمع الخلايا الإنسانية . . وترابط أجهزة الإنسان . . وأن فى داخل كل إنسان . . قوة تعمل على تجمع كل أجزاءِ الإنسان ليكون دائماً . . وحدة واحدة . . بلا اختلاط مع غيرها . وفى ترابط مع بعضها . .

وهذه الظاهرة إنما تشير وتؤكد إعادة الجسم بعد موته إلى ما كان عليه . . قبل موته . . وإذا كان هذا هو رأى العلم وقراره . . فإن الحقيقة . . التى لا شك فيها . . هى أن قدرة الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يحيط بها الإنسان . . ولا يستطيع أى عقل . . أن يتخليها . . فإن جمع عظام الموتى . . أيما كانت . . وقيام خلايا هؤلاء الموتى . . وعودة أجسادهم إلى ما كانت عليه . . أمر أيسر وأسهل من خلق السموات والأرض مثلا . . والتى خلقها الله سبحانه وتعالى بقدرته وعظمته . . ودون أن يصل العلم إلى أى دليل علمى يشير إلى إمكانية هذا الخلق . . إلا أنها قدرة الله وحده . . التى لا يقف أمامها شىء . والتى لا يحدها شىء . . ولا يمكن أن يقف أمامها شىء . . فإنها أكبر وأروع وأعظم من أن يحاول العلم الوقوف على أسرارها . . وأن خلق السماوات والأرض وهى بهذه الضخامة التى لا توصف وهذه الدقة . . التى تدهش . وهذا النظام الذى يأخذ بالألباب لهو من ضمن مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى فى الخلق . . وقد خلقها بلا مشقة . . وبلا صعوبة . . بل بكل يسر . . وكل سهولة . . فهل يصعب عليه أن يعيد الموتى . . إلى حياتهم . . صدق الله العظيم الذى أورد البرهان الذى لا جدال بعده . . ولا شك حوله . . فى إحياء الموتى . . فى النص الشريف :

(أَوَ لم يَرَوا أَنَّ الله الَّذى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرضَ وَلَم يَعى

بِخَلقِهِنَّ بِقَادرٍ عَلَى أَن يُحْيِـى المَوتَى بَلَى إِنَّه عَلَى كُلِّ شىءٍ قَديرٌ)
(٣٣ سورة الأَحقاف)

ولكن يا ترى على أَى صورة سيكون عليها الإِنسان عند بعثه . . هل على صورته التى مات عليها أَم على هيئته التى ولد بها . . أَم هل يا ترى سيكون الناس جميعاً بشكل واحد . . وعلى صورة متشابهة وعلى هيئة واحدة . . لقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة عجوز) فى حديث باسم عندما طلبت منه عجوز أَن يدعو لها بالجنة . . وهذا الحديث يشير إِلى أَن الإِنسان سيتحلل من أَسباب عجزه . . وسيرتد مرة أُخرى من شيخوخته . . كما قال عن ابنه وقد مات طفلا (ان له فى الجنة مرضعاً) . . مما يؤكد أَن الطفل ينمو إِلى حد معين . . وبذلك فإِن الإِنسان يبعث على هيئة هى أَفضل ما يكون عليها الإِنسان . . من شباب واكتمال . . قد تحرر من عاهات جسمه . . وقد بعدت عنه عيوب شكله . . فقد أَثبت علم ما وراء الطبيعة أَن الإِنسان بمجرد انتقاله إِلى الحياة الأُخرى . . يبدأُ فى علاج لتنمحى عن الروح آثار كل مرض جسمى كان قد لحق بالإِنسان فى حياته الدنيا فلا تعود الروح تشعر بأَى نقص كان فى جسد صاحبها . . مما يوحى بأَن الإِنسان يبعث متحرراً من كل نقص أَو مرض . . أَو عيب . . حتى ولو كانت مما له صلة بالسن .

حقاً وصدقاً . . لقد شهدنا . . وآمنا . .

وبعد أن تأكدت حياة الإنسان بعد موته . . بروحه فى برزخه . . وإحساس خلاياه فى قبره . . ثم حياته الكاملة بروحه وجسده . . بالبعث يوم القيامة . . فإنه مما يشغل بال الإنسان يقيناً . . ويثير فكره . . ويقلق خاطره . . هو كيف يمضى الزمن بالإنسان بعد موته . . حتى القيامة . . ؟ إنه لأمر . . عجيب . . ورهيب . . أن يتفكر الإنسان فى الزمن بعد موته . . كيف هو . . ؟

وألا يثير فيه هذا الفكر الرغبة . . فى معرفة كيف تمضى به هذه السنون البالغة العدد . . البعيدة عن الحصر . . فأى إثارة تلك التى تتولد فى الإنسان عندما يعلم أن من الناس من ماتوا منذ عشرات الألوف من السنين وما زالوا فى الانتظار . . ولعلهم ينتظرون عشرات أخرى من ألوف السنين . . حتى القيامة . . فالإنسان الأول لا يذكر التاريخ متى مات ؟ . . ولا كم مر عليه منذ موته . . وتختلف الآراء حول ذلك . . فمن العلماء من يقول أن الإنسان مات فى الأرض منذ أكثر من مليون سنة . . وغيره يقول بل نصف مليون سنة . . إلا أن المؤكد أنه قد تم العثور على نماذج متحجرة للإنسان الذى يسمى بالإنسان (اليناندر ثالى) والذى عاش خلال العصر الجليدى الأخير فى أوربا منذ حوالى ١٠٠ ألف سنة . . فالإنسان الأول مات يقيناً قبل مائة ألف سنة . . ثم

تتابع الموتى . . حتى اليوم . . وحتى الغد . . وحتى تقوم القيامة . . ولعلها بعد لحظات . . أو بعد ألوف السنين . . إن لم يكن أكثر أو أقل . . والله أعلم . .

فيا ترى كيف تمر على هؤلاءِ السنين . . بل كيف تمر بنا نحن . . وسنقضى فى القبر . . هذه السنين التى لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى عددها . . وهذا الذى انقضى على موته مائة ألف سنة . . أى قلق يا ترى . . يعيش فيه . . وأى قلق . . يتضاعف عليه باستمرار أم ترى أن الأمر لا يحتاج إلى قلق . . أو فزع . . من طول المدة . .

وحتى يمكن للإنسان أن يصل إلى صورة تقارب الحقيقة لما عليه الناس بعد الموت حتى القيامة من ناحية الفترة الزمنية . . لابد له أن يعرف كيف يمر الزمن وكيف يقاس . . وما هى معدلاته فى الحياة الدنيا . . ثم ما هى معدلاته بعد الموت . . وحتى القيامة . .

لقد عالج العلماءُ موضوع الزمن ومروره فيقول السير جيمس جينز حجة علم الفلك (إن قوانين الطبيعة الأساسية . . بقدر ما نعرفها فى الوقت الحاضر . . لا تقول لنا لماذا يمر الزمن بلا انقطاع ؟ . . بل هى مستعدة لأن تجيز احتمال بقائه ثابتاً لا يتحرك بقدر ما تجيز احتمال رجوعه القهقرى . . ذلك أن تقدم الزمن إلى الأمام بلا انقطاع . . وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول . . إنما هو شىء أضفناه من تجاربنا الخاصة إلى

قوانين الطبيعة المحققة . . ولسنا ندرى هل هو متأصل فى طبيعة الزمن . . إن ماهية الزمن وما يكتنفها من غموض هى التى تمنع أفكارنا من التقدم وتقف بها عند حد محدود . . وإذا كان الزمن من المسائل الأساسية . . وإذا كان فهمه على حقيقته سيظل أبداً فوق مستوى مداركنا . . فأكبر ظننا أننا سنظل أعجز من أن نقضى برأى حاسم فى الزمن . . لقد كنا حتى ظهرت نظرية النسبية . . ننظر إلى الفضاء على أنه شيء كائن حولنا . . وإلى الزمن على أنه شيء يمر بنا أو يتخللنا . . وكان يلوح أن الفضاء والزمن يختلفان اختلافاً أساسياً من جمع الوجوه . . ففى استطاعتنا مثلا أن نعود القهقرى متبعين أثر خطواتنا فى الفضاء . . ولكننا لا نستطيع أن نفعل مثل هذا فى الزمن . . وفى مقدورنا أن نسير فى الفضاء كما نشاءُ . . مسرعين أو تباطئين . . أولا نسير أبداً . . ولكن أحداً من الناس لا يستطيع أن ينظم سرعة مرور الزمن . . فهو يمر بنا جميعاً بسرعة واحدة منتظمة . . لا يستطيع أحدنا أن يتحكم فيها . . غير أن النتائج الأولى التى وصل إليها اينشتين حسب ما فسرها منكوفسكى بعد أربع سنوات من ظهورها تتضمن هذه النتيجة الغريبة . . وهى أن الطبيعة لا تقر شيئاً من هذه الفروق)

أى أن الإنسان يستطيع أن يتقدم فى الزمن . . وأن يتأخر فيه . .

وأن يصل إلى أبعد من زمنه . . وأن يرجع القهقرى إلى سابق زمنه . . وفى ذلك يقول جينز (نحن نشعر كأنما نسحب على طول خط وجودنا فنتأثر بالنقط المختلفة عليه والتى تمثل كل منها حالتنا فى لحظة من لحظات الزمن . . وقد يكون الزمن من أوله إلى نهاية الأبدية ممتداً أمامنا فى الصورة . . ولكننا لا نتصل إلا بلحظة واحدة منه . . كما أن عجلة الدراجة لا تتصل إلا بنقطة واحدة من الأرض . وإذن فالحوادث كما يقول العلماء لا تحدث . . وكل ما فى الأمر أننا نمر بها مراً . . وقد عبر عن ذلك أفلاطون قبل ثلاثة وعشرين قرناً بقوله . . الماضى والمستقبل نوعان من أنواع الزمن المخلوقة التى نخلعها خطأً ومن غير أن نشعر على جوهر الأبدية . . فيقول كان . . وكائن . . وسيكون . . ولكن الحقيقة أن كائن وحدها هى التعبير الصحيح . . إن الزمن يجب أن ننظر إليه على أنه ذو امتداد منته شأنه فى ذلك شأن الفضاء . . فإذا نحن تتبعنا مجرى الزمن إلى الوراء . . فإننا نجد ما يدل على أننا بعد سباحة طويلة كافية . . لابد واصلون إلى بدايته . . أى إلى وقت لم يكن قبله الكون الحاضر موجوداً . .)

والحقيقة إن مفهوم الزمن يوضحه الطريقة التى يتم بها قياسه . . وتبعاً لأشياء ثابتة فى الدنيا . . فهو يبدو كأنه تعاقب مستمر لأحوال متغايرة لحقيقة واحدة . . أو كنوع من الحركة الذاتية لشىء منتظم

الحركة . . فالأرض تدور حول محورها فتشرق الشمس على بقعة معينة . . ثم تعود لتشرق عليها مرة أخرى . . بعد فترة زمنية محدودة وثابتيه . . استطعنا عن طريقها أن نقيم مزولة نحدد بها الزمن عن طريق طول الظل ودرجة سقوط أشعة الشمس . . ثم استبدلنا المزولة بالساعات . . التى أصبحت تحدد لنا الثوانى والدقائق والساعات وبذلك فقد قدرنا مرور الزمن وبعدنا الزمنى بواسطة حركة الأرض . . ولكن هل هذا هو كله الزمن . . بالنسبة للإنسان ؟

يقول العلم الطبي أن يوجد للإنسان غير الزمن الذى يقيس به عمره . . وهو عدد الأيام التى تمر عليه منذ ولادته . . حتى لحظة معينة . . اصطلح على تسميتها بالسنين والشهور والأيام والساعات والدقائق والثوانى . . والتى أرجعها إلى حركة الأرض . . التى بها تشرق الشمس وتغيب . . توجد أنواع أخرى من الزمن . . هى الزمن الداخلى . . ويقسم إلى الزمن الفسيولوجى . . والزمن السيكولوجى . . ويقول عنها الدكتور الكسيس كاريل (الزمن الداخلى هو التعبير عن تغيرات الجسم وأوجه النشاط خلال الحياة وهو بمثابة التعاقب المتواصل للحالات البنائية والمزاجية والفسيولوجيه والعقلية التى تكون شخصيتنا . . وعلى هذا فنحن نقسم الزمن الداخلى إلى فسيولوجى وهو بعد ثابت يتكون من كل التغيرات العضوية التى تطرأ على الكائن

الإنسانى منذ عمله حتى موته . . وبعضها ذات حركة إيقاعية قابلة للتراجع مثل نبضات القلب . . وتقلص العضلات وحركات المعدة . . والبعض الآخر يأخذ فى الازدياد ولا يقبل التراجع مثل فقدان الجلد مرونته . . وبياض الشعر . . وتصلب الأنسجة والشرايين وإلى سيكولوجى . . وهو ما يسجله شعورنا فى سلسلة حالات الزمن الطبيعى) .

أى أن الزمن الطبيعى للإنسان هو ماكان تابعاً لحركة الأرض حيث يتم فيه تحويل عدد مرات شروق الشمس وغروبها إلى أرقام زمنية يحسبها بالسنين والأيام . . ولو أن الإنسان غادر الأرض إلى كوكب آخر فى المجموعة الشمسية لابد أن تختلف فيه حركة الكوكب عن حركة الأرض . . فإن الزمن الطبيعى له يختلف اختلافاً كبيراً تابعاً لحركة الكوكب الذى يعيش عليه – وأما إذا غادر المجموعة الشمسية كلها إلى مجموعة أخرى . . فالله أعلم بمدى الفارق بين الزمنين الطبيعيين . . الزمن على الأرض والزمن فى هذه المجموعة الأخرى بل إن العلم أثبت أن حركة الإنسان نفسه فيما لو تحرر من حركته المكتسبة بوجوده على كوكب دوار . . وافترض أنه يسير فى السماء فى سفينة فضاء . . فإنه لو كانت سرعته تصل إلى ٩٩ ٪ من سرعة الضوء يكون يومه فى السفينة يعادل عشرة أيام على سطح الأرض . . فلو أن الإنسان انطلق فى

الفضاء بهذه السرعة وأمضى عشر سنوات . . وكان فى سن العشرين . . لعاد وسنه ثلاثون سنة . . ليجد ولده الذى تركه وعمره سنة واحدة قد مات منذ عشرات السنين أو إذا كان حياً فإن سنه يكون أكثر من مائة سنة . . ويكون الولد عمره أكثر من ضعف عمر أبيه . . بل وأكثر من ثلاثة أضعاف . وسيندهش جداً . . عندما يقول له ولده . . لقد غبت عنا عشرات السنين . . التى وصلت إلى مائة . . ويحتار إذ أنه لم يمكث إلا عشرة واحدة . . أما إذا انتقل بسرعة الضوء . . حيث يتحول من مادة إلى طاقة . . والعلم يؤكد إمكان ذلك . . فإن الأمر لا يحتمل التفكير فيه . . وبالموت أصبح الإنسان بروحه . . أسرع من الضوء . . ومن الطاقة . . فهل يعود به زمنه القهقرى كما ثبت علمياً إمكان ذلك . . إلى بداية الكون فى أقل من لحظة أم إلى نقطة فى الوجود محددة ؟ . . وسواء أكانت هذه فى بداية الكون . . أو فى نقطة ما . . فقد انعدم بالنسبة له الزمن الطبيعى . . فلا شمس تشرق . . ولا أرض تدور . . وأما الزمن الداخلى . . فإن الزمن الفسيولوجى قد انعدم . . حيث توقفت حركة الهدم والبناء فى الجسم . . فلا نبض . . ولا حركة للأمعاء . . أو المعدة . . ولا تقدم فى الشرايين . . وأما الزمن السيكولوجى . . فقد انعدم أيضاً . . لأن حالات سلسلة الزمن الطبيعى ومرورها قد انعدمت . . وعلى ذلك فإن

الإنسان بموته . . قد انعدم إحساسه بالزمن كليه وبكل أنواعه . . وكل من ماتوا منذ ملايين السنين . . ومنذ لحظة من القيامة . . عندما تقوم القيامة . . سيتساوون فى الشعور بأنهم ماتوا قريباً . . ولم تمر عليهم الأزمنة التى شعروا بها . فإن انعدام الزمن سيجعلهم يعتقدون أن قيام القيامة إنما كان بعد موته على الأكثر بساعة . . وهذا ما قرره العلم بالنسبة لزمن الموتى . .

وما أروع آيات القرآن الكريم وهى تقرر هذه الحقائق العليمة كلها فى ألفاظ قصيرة بليغة قاطعة وواضحة المعنى إذ تقرر أن الناس عند حشرهم يوم القيامة يعتقدون أنهم لم يلبثوا فى الموت إلا ساعة من نهار وذلك بالنص الشريف :

(وَيَومَ يَحشرُهُم كأَن لَّم يَلبثوا إلاَّ سَاعةً مِنَ النَهارِ)

(٤٥ سورة يونس)

وأن المجرمين ليؤلمهم سرعة قيام القيامة . . فيقسمون أنهم مالبثوا فى الموت غير ساعة وذلك بالنص الكريم :

(وَيَومَ تَقومُ السَّاعَةُ يُقسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيرَ ساعة كَذَلِكِ كَانُوا يُؤفَكْونَ)

(٥٥ سو الروم)

فلقد كانوا يودون لو طال بهم أمد الموت . . إذ يظن الناس يوم القيامة أن ملايين السنين أو مئات الألوف التى مرت بهم ولا يدرون عنها . . ولا عن عددها شيئاً . . إنما هى كساعة وذلك بالنص الشريف :

(كَأَنَّهُم يَومَ يَرَون مَا يُوعَدُونَ لم يَلبَثُوا إلاَّ سَاعةً مِن نَهَار)

(٣٥ سورة الأحقاف)

وهكذا ينعدم الزمن . . وتقوم القيامة . .

الجنة والنار

.. إن حياة القيامة . . لمن الأمور الثابتة التي لا تقبل الشك أو الجدل . . فقد جاءت بها كل الأديان . . وبشرت بها كافة الرسل . . وأكدتها الدراسات العلمية . . وأصبح قيام الإنسان بروحه وجسده بالبعث يوم القيامة . . من الأمور التي لا تحتاج إلى دليل بعد لإثباتها . . أو جدل لبيان حقيقتها . . وإذا ما تدبر الإنسان طبيعة هذه الحياة التي تبدأ بالقيامة . . تدبراً علمياً . . وتفكر فيما تكون عليه بالدليل العقلي . . واستند في كل ذلك بل وقبل ذلك بما جاءت به آيات القرآن الكريم . . ليرى أن طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان بجزائه يوم القيامة وما بعده . . لابد أن تكون أوسع مما عرفنا . . وأعمق مما فهمنا . . وأبعد مما تصورنا . . لأنها الحياة الأبدية الدائمة . . التي لا تغيير فيها . . ولا تبديل معها . . ولا نهاية لها . . هي حياة روحية مادية . . روحية بكل معاني الروحية الشاملة ولو أنها أرحب مما نعهد . . وأوضع مما نعتقد . . وأرهف مما نتخيل . . فهي الحياة التي لا يسيطر الجسد فيها على الروح . . ولا يحد من انطلاقها شهوة طارئه . . أونزوة عابرة . . تعيش فيها الروح بأعمق وجدان . . وأبعد تفكير . . ومادية . . بأكبر قدر يمكن تخيله . . إذ يعيش فيها

الجسد . . بأعلى درجة من الإحساس وإلى أبعد طاقة من الطاقات المادية . . انطلقت القدرات الروحية . . إلى أقصى قدر . . واتسعت القدرات الجسدية إلى أبعد حد . . حيث يأتلف الجسد . . بالروح . . وتصبح بذلك . . طاقتهما وقدراتهما . . متحدة . . وواحدة . .

لقد كشف الله سبحانه وتعالى الغطاء عن قدرات الإنسان . . يومها فأصبح بذلك يستطيع النظر بقوة ونفاذ وإلى أبعد ما يمكن إذ تقول آيات القرآن الكريم أن بصر الإنسان يومها يكون حديداً وذلك بالنص الشريف :

(لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفلة مِّن هَذَا فَكَشفنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصرُكَ اليومَ حَدِيدٌ)

(٢٢ سورة ق)

وكذلك فى باقى أجهزة الإنسان وطاقاته . . إن الإنسان فى الدنيا عندما يتكلم فإنما لسانه طوعه . . ينطق بما يريده صاحبه . . ولكن يوم القيامة . . فإن لسانه يتكلم بغير ما يريد . . بل وكذلك أيديه وأرجله وذلك بالنص الكريم :

(يَومَ تَشهَدُ عَلَيْهِم أَلسِنَتُهُم وَأَيْدِيهِم وَأَرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

(٢٤ سورة النور)

يسمع الإنسان أجهزته كلها . . تتكلم . . يناقشها ونناقشه . . ويحدثها . . وتحدثه . . يحدث الإنسان جلده بعد أن استمع لحديثه وهو يشهد عليه بنص الآية الشريفة :

(حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُم وَأَبْصَارُهُم وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُّم عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا الله الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّة وَإِلَيْهِ تُرجَعُونَ) .

(٢٠ – ٢١ سورة فصلت)

وكذلك الروح قد كشف عنها الغطاء . . فهى ترى مالا سبيل إلى رؤيته فى حياتها الدنيا . . من مخلوقات عالم الغيب . . فلقد رأت فى حياة القيامة . . قرينها . . الذى لازمها . . طوال حياتها . . ولم تكن تراه بل وحدثته . . وتحاجه . . وتختصمه . . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلاَل بَعِيد . قَالَ لاَ تَختَصِمُوا لَدَىَّ وَقَد قَدَّمتُ إِليكُم بِالوَعِيد) .

(٢٧ – ٢٨ سورة ق)

هذه الحياة . . بما عليها من طاقات وقدرات . . أبدية . .

لا تنتهى . . فلا نهاية لها . . لذلك فإن يوم القيامة وهو اليوم الذى تولد فيه حياة القيامة يسمى بيوم الخلود بالنص الشريف :

(ادخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلَكَ يَوْمُ الْخُلُودِ)

(٣٤ سورة ق)

والإنسان فى حياته الدنيا التى عاشها . . طالت أَم قصرت . . ليجازى على ما كان منه فيها . . وهو إما أَن يكون مؤمناً . . أَو كافرا طائعاً . . أَو عاصياً . . محسناً لنفسه وغيره . . أَو مسيئاً . . خَيِّراً أَم شريراً . . لذلك فإن الحياة بعد يوم القيامة لابد أَن تكون إما هناء . . أَو شقاء . . إما فى الجنة . . أَو فى النار . . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(فَرِيقٌ فى الجنَةِ وَفَرِيقٌ فى السَّعير)

(٧ سورة الشورى)

وبذلك فمن الناس الشقى . . ومنهم السعيد . . وللشقى مكانه فى النار . . وللسعيد مكانه فى الجنة بالنص الشريف :

(يَومَ يَأْتِ لاتَكَلَّم نَفسٌ إِلاَّ بِإِذنِهِ فَمنهُم شَقِى وَسَعيد . فَأَمَّا الَّذينَ شَقوا فَفِى النَّارِ لَهُم فِيها زَفير وشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامتِ السَّمَاوَاتُ والأَرضُ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سعدُوا

فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامتِ السَّمَاوَاتُ والأَرضُ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبكَ عَطَاء غَيرَ مَجذُوذ) .

(١٠٥ – ١٠٨ سورة هود)

وحتى يتأكد فى مفهوم الانسان . . ويستقر فى نفسه . . أن حياة القيامة . . ليست قاصرة على الحياة الروحية . . وإنما هى أيضاً حياة مادية بأوسع معانيها . . فقد قام الجسد . . مرة أخرى . . ولكنه عاد . . بقوة أكبر . . وبطاقة أوسع . . وبقدرات أعظم . . فقد حرص القرآن الكريم على بيان هده المادية . . وأوضح ما يؤكد أن كل ما فى حياة القيامة . . إنما هو مادى . . ملموس ومشاهد . . فتقرر آياته الشريفة أن للجنة كيانها المادى حيث أن لها أبعاد واضحة . . وسعة . . محدودة . . فلها طول . . ولها عرض . . وأن عرضها كعرض السماوات والأرض . . وذلك بالنص الشريف :

(وَسَارِعُوا إِلى مَغْفرة مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّة عَرضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرض أُعِدَّت لِلمُتَّقِين) .

(١٣٣ سورة آل عمران)

ولابد أن يكون طولها أكبر من عرضها فإن هذا هو المتبع فى البناء . .

وكذلك النار فإن لها كيانها المادى إذ لها ما يشبه السرادق الذى نعلمه ليحيط بأهلها بالنص الشريف :

(إِنَّا أَعْتَدنا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِم سُرَادقُها)

(٢٩ سورة الكهف)

كما ينص القرآن الكريم على أن فى الجنة غرفاً . . وإن اختلفت طبيعتها عما نعلم من الغرف إلا أنها بناء خاص قد اختص بصاحبه وذلك بنص الآية الكريمة :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لنبوئَنَّهُم مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِى مِن تَحتْهَا الأَنهارُ خَالدِينَ فِيَها)

(٥٨ سورة العنكبوت)

وهذه الغرف مبنية وفوقها غرف . . يمكن أن تتخيل أنها على نمط القصور التى نعدها . . أو أنها كمرتفعات سكنية . . تشرف على مناظر جميلة وذلك بنص الآية الشريفة :

(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لهم غُرَفٌ مِن فَوقِها غُرفٌ مبنيةٌ)

(٢٠ سورة الزمر)

ومهما كان الأمر . . فإن ذلك إنما يقطع بأن ما بها إنما هو من الماديات الملموسة . . المحسوسة . . القائمة . .

ويقرر القرآن الكريم أن جهنم كذلك لها أجزاء مختلفة . . إذ هناك من هم فى أسفل مكان منها . . بالنص الشريف :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)

(١٤٥ سورة النساء)

وأن للجنة جوها الجميل لا هو بحر لا فح ولا برد قارص . . وأن ظلها دائم . . لا يغيب . . ولا ينقص ولا يتكشف وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(لاَ يَرَونَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً . وَدَانِيَةً عَلَيْهِم ظِلاَلُهاَ وَذُلِّلَت قُطُوفُها تَذلِيلاً)

(١٣ - ١٤ سورة الإنسان)

بينما جو جهنم فهو أشد حراً مما قد يتخيل الإنسان أو يظن بالنص الشريف :

(قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَراً لَو كَانُوا يَفقَهُونَ)

(٨١ سورة التوبة)

فيها السموم . . وفيها الحميم . . وظلها دخان حار شديد السواد لا يخفف حرها . . ولا ينفع من هم تحته . . وفى ذلك تقول الآيات الشريفة :

(وَأَصْحَابُ الشِّمَال مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فى سَمُومٍ وَحَمِيم .
وَظِلٍّ من يحمُومٍ . لابَارِد وَلاَ كَرِيمٍ)

(٤١ - ٤٤ سورة الواقعة)

وأَهل الجنة يلبسون الحرير . . ويحلون فيها من حلى من ذهب ولؤلؤ وفضة وذلك بنص الآيات الشريفة :

(جَنَّاتُ عَدن يَدخُلُونَها يُحَلَّون فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤلؤاً
ولبَاسُهم فِيهَا حَرِير)

(٣٣ سورة فاطر)

وأَما أَهل النار فلباسهم من قطران بالنص الكريم :

(سَرَابِيلُهُم مِنَ قَطِرَان وَتَغشَى وَجْوهَهُم النَّارُ)

(٥٠ سورة إبراهيم)

ويأْكل أَهل الجنة ما يشتهونه من الطعام . . اللحوم والفاكهة فى أَجمل صورة وأَعظم مذاق وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم

(وأَمدَدنَاهُم بِفَاكِهة وَلَحمٍ مِمَّا يَشتَهُونَ)

(٢٢ سورة الطور)

وأَمَّا شرابهم فخير الشراب . . يتلذذ به شاربيه . . شكلا .

وطعماً . . ولوناً . . وحتى فيما يقدم فيه الشراب من أكواب وذلك بالنص الشريف :

(وَيُطَافُ عَلَيهِم بِآنِيَة مِن فضَّة وَأَكواب كَانت قَوَارِيراَ . قَوارِيراَ مِن فِضَّة قَدَّرُوها تَقديراً . وَيُسقَونَ فِيهَا كَأْساً كان مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً . عَيناً فِيهَا تُسَمىَّ سَلْسَبِيلاً)

(١٥ – ١٨ سورة الإنسان)

وأَما أَهل النار فَإنهم يأْكلون من شجر يخرج من أَصل الجحيم . . قبيح الشكل . . كريه المذاق . ثماره نار فى ملمسها . . لهيب فى مذاقها . . تحرق المعدة . . وكل ما فى طريقها إليها . . ولكنه الإحساس بالجوع والرغبة فى الامتلاء . . يدفع أَهلها إلى الأَكل فلا يجدوا إلاَّ هذه الشجرة وهذه الثمار . . فإذا ما شعر الإنسان بحقيقتها . . حاول أَن يشرب أَى شىء . . ليخفف عنه عذاب الحريق الخارجى بما حوله من نار . . والداخلى بما أَكله من نار . . فيسقى من حميم . . وهو اللهب السائل . . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(أَذَلِكَ خَيرٌ نُّزُلاً أَم شجرةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعلَناهاَ فِتنَةَ للظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شجَرَةٌ تَخرُجُ فى أَصلِ الجحَيِم . طَلعُهَا كَأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطِين . فَإِنَّهُم لآكلُونَ مِنهَا فَمَالِئونَ مِنَها البُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لهم عَلَيْهَا لَشَوباً مِّن حَمِيمٍ)

(٦٢ – ٦٧ سورة الصافات)

وبينما أهل الجنة متكئين على سرر فى الجنة متقابلين . . قد صفت قلوبهم من أى حقد أو حسد أو طمع أو جشع . . لاغل فى صدورهم . . وإنما هم أخوة . . ومتحابين بالنص الشريف :

(وَنَزَعنَا مَا فى صُدُورِهِم مِّن غِل إِخوَاناً على سُرُرٍ متَقَابِلِين)
(٤٧ سورة الحجر)

نجد أهل النار الأغلال فى أعناقهم وبالسلاسل يسحبون بالنص الكريم :

(إِذ الأَغلالُ فى أَعنَاقِهِم وَالسَّلاَسِلُ يُسحَبُونَ)
(٧١ سورة غافر)

وأهل الجنة مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فى أمان وفى سعادة . . لا ينقطع عنهم أسباب المتعة ولا تغيب عليهم وسائل السعادة . . بل إن الملائكة تدخل عليهم فى كل اتجاه . . تمنحهم السلام وتبشرهم بالأمان وتعلن لهم ما هم فيه من نعيم وذلك بالنص الشريف :

(جَنَّات عَدن يَدخُلُونَهَا وَمَن صَلَح مِن أَبائهِم وَأَزواجهم وَذُرِّيَاتِهِم والْمَلائِكةُ يَدخُلُونْ عَليْهِم مِن كُلٍّ بَابٍ . سَلاَمٌ عَلَيكُم بِمَا صبرتُم فَنعمِ عُقْبَى الدَّارِ)
(٢٣ - ٢٤ سورة الرعد)

فقد تم اجتماع الإنسان بمن دخل الجنة من أهليه . . وهذا دخول مادى . . ويرى الملائكة تدخل عليه من كل باب . . وهذا اعلان بأن الحواس متنبهة . . بل وأنها ذات طاقات أوسع وأكبر . . وأنه يسمع ويفهم كلام الملائكة . .

وبالنسبة لأهل النار فإن القرآن الكريم قد أورد نصا كريماً هو :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوفَ نُصلِيهِم نَاراً كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُم جُلُوداً غيْرهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَ الله كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً)

(٥٦ سورة النساء)

ويقرر هذا النص الشريف أن الإنسان فى النار متجسد . . تمام التجسيد . فجسده . . به جلده . . ويقرر كذلك أنه كلما نضج الجلد . . تبدل بجلد آخر . . لا لشيء . . إلا ليذوق صاحبه العذاب . . فكأن القرآن الكريم يقرر فى صراحة ووضوح . . وبلا لبس أو غموض . . أن تذوق الإنسان العذاب يكون عن طريق الجلد . . وهذه الآية الشريفة . . تورد حقيقة علمية طبية . . لم يصل العلم إليها إلا أخيراً . . فكأن الآية تقرر أن الإنسان فى النار سيكون بحالته الجسدية التى تشبه حالته الجسدية فى الدنيا . . بكل ما فيها . . وأن الجلد سيحمل كل أسباب الإحساس وقد قال العلم أخيراً عن

الجلد بعض ما أوردته الآية الشريفة بخصوص أهمية الجلد فى الإحساس والتبدل الذى يتم فى طبقات الجلد . . ففى كتاب الإنسان ذلك المجهول يقول الدكتور الكسيس كاريل (إن الجلد الذى يغطى سطح الجسم الخارجى بالرغم من رقته فإنه يحمى حماية فعَّالة الوسط الداخلى من تغيرات الوسط الكونى التى لا تنقطع . . وهو رطب . . لين قابل للامتداد . . مرن . . ولا يبلى على الزمن . . إنه لا يبلى لأنه يتكون من عدة طبقات من الخلايا التى تتكاثر بلا انقطاع وتموت هذه الخلايا . . مع بقائها متحدة بعضها بعض كلوحات السقف . . لوحات لا تفتأ الريح تنتزعها ولا تفتأ تستبدل بها أخرى جديدة . . وعن طريق الجلد يتصل الجسم بكافة الأشياء التى توجد فى وسطه . . فهو فى الواقع بمثابة موطن لعدد كبير من الأعضاء المستقبلة الصغيرة التى يسجل كل منها . . على حسب طبيعته الخاصة . . تغيرات العالم الخارجى . . إن جسيمات اللمس المنتشرة على كل سطحه تستجيب للضغط والألم والقيظ والبرد . . إن الجهاز العصبى المركزى الذى يشمل المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكى .. يستقبل الأعصاب الحسية التى تصل إليه من سطح الجسم . . من جلده) . . أى أن جلد الإنسان يوم القيامة . . يماثل . . فى نوعه وتركيبه . . جلده المادى المعروف فى الدنيا . . لأنه هو سبيل الإحساس . . ووسيلة الشعور . .

ومن ذلك يتضح أَن الجنة والنار . . إنما هى من الأُمور الحقيقية . . الحسية . . المادية . . الملموسة وأَن الدين وقد أَورد النصوص التى يجب أَن تفسر بمعناها الواضح القريب . . إنما يؤكد مادية الجنة والنار . . والجنة كما هى الجنة . . بسعتها . . وأَبعادها . . وبينائها . . ونعيمها . . ومتعها . . والسعادة الشاملة الغامرة التى توفرها لمن هم فيها . . والنار كما هى النار . . بمكانها . . وقدرها . . ذات الوقود . . من الناس والحجارة مرتفعة الحرارة إلى درجة لا تتصور . . والناس فى كل بأَجسادهم . وأَرواحهم . . فإن كل الآيات الكريمة التى أَوردت الجنة . . وما فيها . . والنار وما بها . . وتمتع الإنسان فى الأَولى . . وعذابه فى الأُخرى . . إنما قد أَكدت مادية وجود الإنسان . . ومادية مكانه الذى سيمضى فيه حياته الأَبدية . . التى لا نهاية فيها . . والتى لا حد لها . .

والقرآن الكريم . . حينما أَورد وصفاً لبعض ما فى الجنة . . فإنما جاء بالتعبير الذى يستطيع العقل البشرى أَن يميزه . . وأَن يعلم به . . مدى اللذة الجسدية . . والمتعة الروحية . . والسعادة الحسية التى سيجدها فى الجنة . . وكذلك مدى العذاب الجسدى . والأَلم الروحى . . فى النار . . إذ أَن حقيقة الجنة وما فيها . . لأَكبر . . وأَعمق . . وأَعظم مما يتصور العقل الإنسانى وهو مقيد فى جسده

الدنيوى . . فعندما تقرر الأديان أن الإنسان سيعيش خالداً فى الجنة أو فى النار . . فإن أول ما يطرأ على تفكيره هو أن يسأل وماذا بعد . ؟ . . إنه دائما يبحث عما بعد . . فإذا جاءت الإجابة الصحيحة . . أنه لا بعد . . فإنها الحياة الأبدية . . عاد يناقش . . وهل يمكن أن يظل الإنسان هكذا . . وماذا بعد مليون سنة . . بل عشرة ملايين . . أو ملايين الملايين . . إنه لا سنين فيها . . ولا أعوام . . ولا زمن . . ولا دهر . . لا عمر يتقدم . . ولا وقت يمر . . فلا آخر . . لما عليه الإنسان فى الجنة . . أو النار . . كما أنه لا توجد الألفاظ التى تدل على حقيقة ما فى الجنة . . إذ أنها لابد مغايرة لما نعلم . . ولما نفهم . . وبذلك فإن الآيات الشريفة من القرآن الكريم عندما تقرر أن الثمار فى الجنة إنما هى مشابهة لتلك الموجودة فى الحياة . . فإنما هو تشابه قصد به معرفة الصنف . . ولكنه ليس هو يقيناً . .

فإن نوع ما فى الجنة . . يغاير ما فى الأرض قطعا . . فلا يمكن أن يكون غذاء الجنة . . مما يهضم فى الجسم بالطريق الطبيعى فتتكون بذلك فضلات لا يجوز أن تكون وبذلك يحرص القرآن الكريم على أن يذكر أنها مشابهة حتى يتأكد فى مفهوم الإنسان انها ليست هى . . وذلك بالنص الشريف :

(وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنوا وَعَملوا الصَّالحَاتِ أَنَّ لَهم جنَّات تجرى مِن تَحتِها الأَنْهَارُ كلَّمَا رُزِقُوا مِنها مِن ثَمرةٍ رزقاً قَالُوا هَذا الذى رُزِقنَا مِن قبلُ وَأُتُوا به مُتَشَابهاً)

(٢٥ سورة البقرة)

ولا ختلاف أَنواع الفاكهة فى الجنة عن أَنواع الأَرض . . فى مكوناتها . . وأَصلها . . ونتائجها . . وطريقة نموها وحالتها . . فإن القرآن الكريم يقرر أَن هذه الفاكهة . . لا مقطوعة . . فى وقت من الأَوقات . إذ لا مواسم لها . . بل هى دائمة . ولا ممنوعة عن متناول الأَيدى . . فلا هى ببعيدة . . ولا غائره . . ولا عالية . . وذلك بالنص الشريف :

(وَفَاكهة كَثيرةٍ . لاَمَقطوعة وَلاَممْنُوعة)

(٣٢ - ٣٣ سورة الواقعة)

وتبياناً لارتفاع مستوى الرخاء فى الجنة إلى أَعلى حد . . وطيب أَرضها . . وخصوبة تربتها . . وحسن جوها وجمال منظرها . . فإن القرآن الكريم وصفها بأَنها تجرى من تحتها الأَنهار . . وذلك بالنص الشريف :

(إِنَّ الله يُدخل الَّذينَ آمنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّات تَجرى مِن تَحتها الأَنهارُ إِنَّ الله يَفعلُ مَا يُريدُ) .

(١٤ سورة الحج)

وقد أَورد القرآن الكريم ذكر الجنات التى تجرى من تحتها الأَنهار عندما أَراد أَن يبين قدر النعيم الكبير والحياة والثراء فى بعض مناسبات فى الحياة الدنيا . . فعندما ذكر القرآن الكريم وصفاً لما مكن الله به لمن سبق من أَجيال فى القرون الأَولى كانت الأَنهار التى تجرى من تحتهم أَبرز ما أَوضحته الآيات الشريفة وذلك بالنص الكريم :

(أَلَم يَرَوا كم أَهلَكنَا مِن قَبلهم مِن قَرن مَّكنَّاهُم فى الأَرض مَالَم نُمكِّن لَكم وَأَرسلنا السَّماءَ عَلَيْهم مدرَاراً وَجَعلْنا الأَنهارَ تَجرى مِن تَحتهم)

(٦ سورة الأَنعام)

وعندما أَراد فرعون أَن يتفاخر بما لديه ويتباهى بما عنده . . ذكر ما يملكه من ممتلكات والأَنهار التى تجرى تحت ما يمتلك وذلك بنص الآية الكريمة :

(وَنَادىَ فِرعونُ فى قَومِهِ قَال يَا قوم أَلَيسَ لِى مُلكُ مِصَر وَهذَهِ الأَنهارُ تجرى مِن تَحتى أَفلا تُبصِرونَ) . (٥١ سورة الزخرف)

ولما أنكر الكافرون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا بها لأنه بشر ولأنه فقير قالوا لو لو كانت له جنة يأكل منها بنص الآيات الشريفة :

(وَقَالُوا مال هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمشى فى الأَسواق لَولاَ أُنزِلَ إِليهِ مَلَكٌ فَيَكونَ مَعَهُ نَذِيراً . أَو يُلقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَو تكُونُ لَهُ جنة يَأْكُلُ مِنها)

(٧ - ٨ سورة الفرقان)

رد الله سبحانه وتعالى على استنكارهم بأنه جل شأنه قادر على أن يجعل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل له القصور بالنص الكريم :

(تَبَارَكَ الَّذى إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خيراً مِّن ذَلِك جنَّات تَجرى مِن تحتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجعَل لَّكَ قُصُوراً)

(١٠ سورة الفرقان)

وهكذا نتأكد أن القرآن الكريم حينما أورد وصفاً للجنة بأنها تجرى من تحتها الأنهار إنما هو كتصوير لرفع مستواها فى عقل الإنسان إلى أبعد حد ممكن .. ولذلك حرص القرآن على تقرير هذه الحقيقة ،أن قال فى

صراحة ووضوح أن الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار إنما هى المثل للجنة . والمثل فقط وذلك بالنص الشريف :

(مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجرِى مِن تحتِهَا الأَنهَارُ)

(٣٥ سورة الرعد)

وكذلك عندما أوردت الآيات الشريفة ما فى الجنة من أنهار من لبن وأنها من خمر .. وأنهار من عسل .. وحور عين .. وولدان مخلدون .. فإنما ذلك على سبيل تقريب صورة النعيم الكامل .. الذى لا يفتقد الإنسان فيه أى متعة .. والذى يحقق رغبات الإنسان الشاملة لكل أسباب السعادة . ووسائلها بحسب ما يمكن أن يتفهمها العقل البشرى وأن يستوعبها .. وقد حرص القرآن الكريم على بيان هذه الحقيقة التى تقرر أن الجنة التى فيها أنهار من ماء كريم وأنهار من لبن وأخرى من خمر . وغيرها من عسل إنما هى المثل للجنة التى أعدت للمتقين وذلك بالنص الشريف :

(مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ المُتَّقُونَ فيهَا أَنهارٌ مِن مَّاءٍ غيرِ آسن وأَنْهَار مِن لَبَنٍ لم يتَغَيَّر طَعمُهُ وأَنْهَار مِن خمرٍ لَذَّة لِلشَّارِبِينَ وأَنْهَار مِن عَسَل مُّصَفًى)

(١٥ سورة محمد)

ولعل فى هذا ما يرد على أسئلة من يقلقهم وجود الأنهار فى الجنة بعد أن كابدوا من غَدرها وفيضانها عليهم فى الحياة الدنيا .. ومن يزعجهم كثرة اللبن فى الجنة .. أووجود الخمر بها .. حيث لا يستسيغونها أصلا فى الدنيا .. وكذلك لمن يحاولوا إيجاد تعليلات وتفسيرات مقبولة لوجود حور العين والولدان المخلدون .. وغير ذلك من أصناف المتع الحسية .. التى يعرفها أهل الدنيا .. والتى يأتى على الإنسان حين من الزمان يعكف عنها فى حياته الدنيا .. ولا يقبل عليها .. والحقيقة أن القرآن الكريم أراد أن يؤكد فى أذهان البشر حقيقة واقعة .. عن الجنة ومتعها ونعيمها وأحوالها .. وعن النار وعذابها وشدتها وأهوالها .. فحتى يمكن للإنسان أن يقف على صورة قريبة من ذلك لابد أن تكون الصورة من جنس ما يعرفه .. وأن يكون التشبيه من واقع ما يعلمه .. وأن يكون المثل بما مر به ..

ولذلك وجب على كل إنسان وهو يتخيل الجنة وما فيها .. أن يفرق بين الحقيقة والمثل .. بين الجنة كما هى عليه .. وبين الصورة التى ضرب القرآن الكريم المثل لما هى عليه .. وعندما نتجه بأفكارنا إلى النسبة بين الحقيقة والمثل .. يجب أن نتدبر الحقيقة .. والمثل الذى ضرب لها .. فى القرآن .. فإن القرآن الكريم قد ضرب المثل لنور الله سبحانه وتعالى الذى أضاء ببعضه .. بل بومضة منه السماوات والأرض

وأشرق بجزء منه .. بل بلمحة خاطفة الوجود فى الدنيا والآخرة .. بطاقة فيها مصباح .. والمصباح فى زجاجة لا معة نظيفة برَّاقة .. ويوقد المصباح من زيت خاص يكاد يضيءُ لوحده وذلك بالنص الكريم

(اللهُ نورُ السَّماوَتِ والأَرْض مَثَلُ نُورِهِ كمشكاة فيهَا مِصْبَاح المصبَاحُ فى زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ كأَنَّهَا كَوْكَب دُرِى يُوقدُ مِن شجَرَة مُبَارَكَة زَيْتُونه لَاشَرقِيَّة وَلَا غَرْبيَّة يكادُ زَيتُها يُضىءُ وَلَو لم تَمسسْهُ نَار)

(٣٥ سورة النور)

ولكل إنسان أن يتصور مدى الفارق بين الحقيقة .. حقيقة نور الله جل شأنه .. وبين الصورة .. الصورة التى يمكن للإنسان أن يتخيلها بما مر عليه فى الدنيا .. صورة لطاقة .. فيها مصباح نظيف ولامع يوقد من زيت جيد.

إن الفارق جد بعيد. وبعيد جداً .. وإن نور الله جل شأنه .. عند ما تجلى بعضه .. أضاء السماوات والأرض لملايين السنين .. ومازال .. فالجنة بالمثل .. عندما ضرب الله المثل لها .. فإنما ضرب بما يمكن أن يتخيله الإنسان حيث مر به فى الدنيا .. والفارق جد بعيد .. جداً .. بين الجنة كما هى والجنة كما نتخيلها على أنها أكل وشرب .. وحور عين ..

إن الإنسان سيتمتع فى الجنة متعة كاملة شاملة .. بأعمق إحساس وإلى أبعد حد .. متعة من يسعده وجود الأنهار تجرى من تحته . ليزداد إنتاجها .. ويحسن ثمارها .. ويتلطف جوها .. ويصفو حالها .. ويجمل منظرها .. ويطيب العيش فيها .. ويتلذذ لذة من يمتعه شرب اللبن أو الخمر .. أو تناول العسل .. وينعم نعيم من يعشق الحس .. ويتطلع إلى الجمال . ويجده .. بالقرب منه . وفى متناول يده .. وكل ذلك بقدر أوسع مما يظن .. وأعمق مما يتحيل .. وأصدق مما يعتقد

لقد عرف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقة .. عرف . أن النعيم الذى يعيش فيه الإنسان فى الجنة يجعله .. نعيماً دائماً له .. وقائماً لا يزول عنه .. من غير ما عهد فى الدنيا .. وأن ما يرتديه الإنسان من لباس .. ليس من جنس ما نعلمه .. فهو رداء لا يتسخ ولا يبلى .. وأن الإنسان فى الجنة مهما أكل وشرب .. فإنه لاينمو ولا يكبر .. أى لا يهضم من الغذاء ما يزيد فى وزنه .. أويسرع فى أيامه .. إذ لا تقوم فى جسده عمليات هدم وبناء .. وبذلك لا يهرم أو يشيخ ويظل فى فتوة الشباب .. وريعان الصبا .. عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حقيقة ما فى الجنة .. هى من غير ما سبق لعين أن رأت .. ولا أذن

سمعت .. ولا يخطر على أى قلب .. من قلوب البشر .. فقد قال صلى الله عليه وسلم (من يدخل الجنة .. ينعم ولا ييأس لا تبلى ثيابه .. ولا يفنى شبابه .. فى الجنة مالا عين رأت .. ولا أُذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر)

وليس كل من دخل الجنة لا يشغله إلا الأكل والشرب والتمتع المادى .. فإن أهلها لاشك يختلفون كما يختلف أهل الدنيا .. فى طريقة التمتع .. ولونه .. وشكله .. ومصدره .. ففى الحياة الدنيا .. نجد من يبحثون عن المتعة فى الطعام الجيد والشراب العليل .. بينما نجد كثرة يسعدها المنظر الجميل .. أو اللحن الرتيب .. ونجد أقواماً تبحث عن حلسة هادئة مع صديق .. أو حبيب .. ونجد غيرهم من يتمتعون إذا انفردوا بأنفسهم فى جلسة تأمل وتفكر .. وهناك صفوة طيبة منتهى لذتها وتمام سعادتها الخلوة بربها .. فى صلاة ودعاء .. وحتى إذا جرفها تيار الدنيا .. فإنها لا تنى عن الذكر ولا تنقطع عن الدعاء أنها تعيش على الرجاء .. رجاء القرب من الله .. وهكذا لابد أهل الجنة .. فياترى عندما يشرق على الوجود فى الآخرة .. نور الله .. وترتفع الحجب .. لتتعلق القلوب والأنفس قبل العيون .. بمصدر هذا النور .. ويرى العباد ربهم .. سبحانه وتعالى . وتتجلى على أرواحهم

قدسية من مصدر كل تقديس ويفيض النور على أجسامهم وقد انعكس عليها من مصدر كل الأنوار.. ويحاول الإنسان بجزأيه الطاهرين أن يتعلق بأصل النور.. وأن يفنى.. فى وجود لا يرى فيه سوى الله لقد تعلق العبد بربه . وزالت الحجب وارتفعت الستر.. ترى من يبحث عند ذلك عن أكل أو شرب . أو متعة فهل هناك متعة وامتاع وسعادة ونعيم . قدر القرب من الله ورؤيته . فمن ينصرف عن ذلك . وإلى أى غاية ينصرف.

إن أمل المؤمنين وقد وضح لهم نورهم . أن يتم الله لهم هذا النور ليصبحوا جزءا من النور وهذا هو ما يدعون الله به ويسألونه بنص الآية الشريفة :

(يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحا عَسَى ربكُم أَن يُكَفِّرَ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم ويُدخلكُم جنَّات تَجرِى مِن تَحتها الأَنْهَارُ يَوم لَا يُخزِى الله النَّبِى والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُم يَسعَى بَيْنَ أَيْديهِم وَبأَيمَانهم يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِير)

(٨ سورة التحريم

حساب برحمة.. ورحمة بلا حساب

كيف يحاسب الله سبحانه وتعالى كل هؤلاء الناس ؟

عندما يسأل المتشكك فى الحساب هذا السؤال وقد استحضر فى ذهنه . . صورة تقريبية للكثرة العددية للخلق . فإن الإجابة المنطقية لا تزيد على أسئلة مماثلة . . تحقق كل إنسان من أجابتها بنفسه فى الحياة الدنيا . مثل وكيف يطعمهم ؟ . وكيف يسقيهم ؟ . وكيف يرزقهم . . ؟ . وكيف يرعاهم . ؟ إن الله جل شأنه قد أطعم آدم وحواء . منذ أن بدأ حياتهما على الأرض بما يوازى ثلاث وجبات كل يوم . أوما يقابل على أكثر تقدير ستة أرغفة من الخبز . واليوم يبلغ عدد ذرية آدم وحواء ثلاثة آلاف مليون فرد . . طعامهم يحتاج على الأقل إلى ما يقابل تسعة آلاف مليون رغيف من الخبز يومياً . غير الفاكهة . والخضر . واللحوم ومازالوا يعيشون . ويتكاثرون . فى كل يوم عدة آلاف ويجدون قوتهم ميسراً . . مهما بذلوا فى سبيله من جهد . . بحيث يأخذ كل إنسان قدره من الطعام . . وكفايته من الشرب . . والغذاء . . وإذا تدبرنا رزقهم وتفكرنا كم ينفق الإنسان منذ ولادته . . على نفسه حتى موته . . ويتفكر كم ينفق البشر جميعاً . . سيجد أمراً عجباً . . رزق الله . .

الذى ليس له نفاد . . لقد أجرى الله سبحانه وتعالى الرزق لكل هذه الملايين التى خلقت . . وانتهت . . والتى خلقت وما زالت تعيش . . والتى ستخلق بعد . . وفى لحظة أن يولد الطفل . . يكون رزقه . . كله . . منذ هذه اللحظة . . قد تقرر وتحدد . . وما زالت الأمهات تلد . . وما زال عدد الأحياء . . يزيد . . إذا مازال رزق الله جل شأنه ينهمر . . وما زالت خزائنه . . عامرة . . تفيض بالرزق . . وإذا كان الله جل شأنه لم يعْى برزق هؤلاء الناس . . فهل يعى بحسابهم . . وحسابهم لا شك أيسر وأسهل من رزقهم . . يقيناً . . بمراحل كثيرة .

وإذا تدبر الإنسان بصْمة يده . . وجد بضعة خطوط لا متشابكة . . ولا متقاطعة . . ولكنها . . دائرية منحنية . . لترسم شكلا بعينه . . ويمكن للإنسان أن يكون من هذه الخطوط فى مساحة بصمة الأصبع التى لا تزيد على سنتيمترين مربعين . . خمسة أشكال . . مختلفة . . أو عشرة إذا اجتهد وأفنى زهرة شبابه فى البحث والتوافق . . ولكن هل يمكن أن يفكر فى أن يتكون من هذه الخطوط فى هذه المساحة مائة شكل ؟ . . أو ألف . . أو مليون . . أو ألف مليون . . مثلا . . إنه أمر يفوق كل تصور ويرقى فوق كل فكر . . وعقل . . ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى بعظمته . . قد شاء . . فظهرت قدرته فى خلق بلايين الأشكال . . من هذه الخطوط وفى هذه

المساحة . . هى بصمات أَصابع كل الناس . . ولم تتشابه مرة بصمة مع أُخرى . . ولن تتشابه . . ولكل إنسان أَن يتخيل عدد من أُنجب من الذكور . . وما ولدت النساءُ . . منذ الإنسان الأَول . . حتى الآن . . لم يتفق اثنان فى شكل بصماتهما . . هل هذا الخلق بهذه الدقة وعلى هذا المستوى وبهذا العدد أَيسر . . أَم حسابهم . .

إن أَهون من خلق الناس على اختلافهم . . وأَيسر من رزقهم على كثرتهم . . حسابهم لا شك . . ولكن الحقيقة أَنه لا أَيسر . . ولا أَصعب . عند الله . . فمشيئته . تتم دون أَن يأْخذ الأَمر منه شيئا فإرادته تتم بعلمه ولا جهد فيها وأَمره يقع دون أَن يبدأَ فى اتخاذ ما يتمه . . فقوله كن . . يكون الأَمر قد كان .

ولعل ما يثير فى الناس التفكر . . فى الحساب ويبعث على البحث فى أَمره . . اعتقاد البعض بأَن الكثرة البالغة من الناس منذ خلق آدم وحواءَ حتى الآن . . فوق العد . . وأَبعد من الإحصاءِ . . وتستعصى على الحصر . .

هكذا يتخيل الإنسان عندما يتدبر أَمر هذا العدد من مئات الآلاف من السنين . . بالنسبة للعدد الحالى الذى يزيد على ثلاثة آلاف مليون نسمة أَما أَقوالهم التى تحدثوا بها . . وأَما أَلفاظهم التى انطقوا بها . . فهل يمكن أَن تحصى وتعد . . أَنها إلى مالا نهاية . هذا اللفظ الذى

أدخله الشعراءُ والأُدباءُ على كل ما هو فى كثرة عددية بالغة . . ولكن هل يوجد حقاً . . علمياً ورياضياً ما يسمى فى حياتنا الدنيا مالا نهاية ؟ . . لقد كتب الدكتور ادوارد كاستر أُستاذ الرياضة بجامعة كولومبيا عن أَضخم الأَرقام أَن الرياضيين قد أَطلقوا اسمين على أَضخم الأَرقام . . وهى الأَرقام التى تزيد فى ضخامتها على الأَرقام التى نستخدمها عادة . . بل إِنها من الضخامة بحيث لا تتصور بسهولة . . وهذان الإسمان هما الجوجولات والجوجول بلكسات . . ويقول عندما تسأَل الأَطفال كم عددَ قطرات المطر التى تسقط فوق مدينتكم . . فإن أَعلى عدد يذكره الأَطفال هو الأَلف لأَنهم لم يعدوا أَبداً أَكثر من الأَلف . . وعندما تسأَلهم كم قطرة تسقط فى الدقيقة ؟ . . ثم كم قطرة تسقط فى اليوم ؟ . . فإِنهم لا شك يتخيلون الضخامة التى يجب أَن تكون عليها هذه الأَرقام . . ثم إِذا سأَلتهم عن عدد حبات الرمال على شاطىءِ البحر . . فإِنه كذلك الرقم الضخم . . ومهما كان العدد مع ضخامته . . فهو محدود يمكن فى النهاية عده وأَنه ليس لا نهائياً . كما كان يعتقد البعض . . ويقول (وكلمة اللانهاية فى الشعر تبدأ من نهاية آلاف . . وأَى عدد أَكثر من هذا يعتبر لانهاية . . ذلك أَن الشاعر فى كثير من الأَشعار يقول : أَنظر إِلى هذا العدد الانهائى من النجوم . . والواقع أَنه لم يستطع أَحد . . حتى الشاعر نفسه . . رؤية أَكثر من

ثلاثة آلاف من النجوم فى الليالى الصافية . . وعلى هذا فعدد قطرات المطر الساقطة فوق مدينة . . أو عدد حبات الرمال على شاطىء . . عدد كبير ضخم . . ولكنه محدود . . فهل يمكن أن يؤدى الجوجول الغرض . . الواقع أن الجوجول ليس ضخماً لدرجة لا تستطيع معها التحدث عنه . . فهو واحد عن يمينه مائة صفر . . أما عدد قطرات المطر الساقطة فوق مدينة فى قرن من الزمان أقل من الجو جول وأضخم عدد أمكن للرياضيين رؤيته هو كمية النقود بالماركات المتداولة فى المانيا أثناء اقصى درجات الانهيار الاقتصادى . . وقد وجد الرقم فى كتاب اقتصاد وهو واحد وعن يمينه ثلاثين صفراً . . أى أقل من جوجول واحد . . وعدد ذرات الأكسجين فى الحجرة . . يستطيع الكيماويون حسابه . . وهو عدد ضخم ولكنه محدود . . إنه واحد وأمامه ثلاثون صفراً . . ولقد أمكن بواسطة نظرية اينشتين . . حساب عدد الألكترونات الموجودة فى المجموعة الشمسية كلها . . طبعاً إنه عدد ضخم جداً . . ولكنه ليس لانهائى ووجد أنه واحد يليه تسعة وسبعون صفراً . . وأما الجوجول بليكس فضخم جداً . . لدرجة يصعب معها تصوره . . إنه واحد وأمامه جوجول من الأصفار . . أى بلغة العلم هو عشرة لأس الجوجول . . ولذلك يمكن أن نعد أوراق الشجر كلها فى بلد . . بل فى قارة فقد أحصيت أوراق الأشجار فى الولايات المتحدة

فحدت أَنها واحد أَمامه ستة عشر صفراً . . أَى أَنه فى الواقع أَقل من
ـيون بليون ورقة . . لأَن هذا الرقم واحد وأَمامه ثمانية عشر صفراً . .
أَما عدد الكلمات التى تكلمها الناس منذ آدام وحواء . . حتى اليوم فمن
لمؤكد أَنه لم يصل إلى بليون بليون كلمة)

هذا هو العلم فى آخر أَبحاثه عن العدد والإحصاء يقرر أَنه لا شىء فى الحصر يسمى مالانهاية وأَن كل ما يتخيله الإنسان . كبيراً وضخماً . . قد يكون كذلك . . حقاً . . إلا أَنه يمكن حصره ويمكن أَن نعد وحداته وأَن عدد الأَلفاظ التى تحدث بها الناس جميعاً . . محصورة . . وعددها أَقل من عدد أَشياء أُخرى . . ويكون بذلك عدد الأَلفاظ التى تحدث بها كل فرد . . بسيط جداً . . وقليل جداً . . إذا قيست بما فى الكون . . وأَمكن للعلم أَن يحصى بعض مكوناته . . وإذا كانت هناك نسبة من الخطأ فى الإحصاء . . فليس ذلك بالأَمر الذى يهم . . إذ ما يهم هو إثبات إمكان الإحصاء والعد . . وإذا كانت هذه هى طاقة العلم . . وقدراته . . وإمكانية الإنسان . . فهل تقاس أَو توضع موضع التناسب . . مع قدرة الله سبحانه . . الذى يعلم الخلق قبل خلقهم . . ويعلم العدد قبل الأَمر به . . ويعلم ما يعلمه كل إنسان قبل أَن يعمله . . وإنما هى أَدلة تجمع وتشير إلى أَن حساب الناس . . يوم الحساب . . من أَيسر وأَسهل الأُمور عند الله . .

وأَثبت العلم كذلك أَن الأَصوات . . إنما تتم بسبب اهتزازات تحدثها فى الجو . . فيسمع الناس بهذه الاهتزازات الحديث . . وأَثبت أَن هذه الاهتزازات تنتشر وتتوزع . . فيسمعها القريب . . ثم تتركه إلى بعيد . . وفى انتشارها وتوزيعها . لا تفنى . . بل هى موجودة فى مكان ما . . من الكون . . وليس العجيب وجودها . . ولكن قد يكون العجيب عدم اختلاطها . . فإن لكل إنسان بصمة فى صوته . . خاصة به . . كبصمة أُصبعه . فأنت تستمع إلى حديث فى التليفون أَو الإذاعة . . فتعرف صاحبه . . دون أَن تراه . . طالما أَنك سمعت صوته من قبل . . ومهما تداخلت الأَصوات . . ومهما اقتربت النغمات . . فأَنت تميز كل هذه الأَصوات فوراً . . ومما أَثبته العلم أَخيراً ما أَعلن فى منتصف يونية سنة ١٩٦٩ من أَنه أَمكن اختراع جهاز يسجل بصمات الصوت وهو جهاز اليكترونى يحول الموجات الصوتية . . إلى صورة بها ثلاثة أَبعاد طول . . وعرض . . وعمق . . وهكذا لا اختلاط . . ولا ضياع . . لكل ما تحدث به الإنسان . .

وأَثبت العلم كذلك أَن كل عمل مهما صغر . . أَو دق . . أو تخفى فى أَدائه الإنسان . . فهو يترك أَثرا . فى مكانه . . وقد أَمكن علمياً . . وعملياً . . تصوير أَحداث وقعت فى مكانها . . وذلك بعد ساعات من وقوعها . . وانتهاء كل أَثر لها . . من مكانها . . فإذا كان

كل ما عمله الإنسان قد تم تصويره وطبعه فى مكان ما من الوجود . . وكل قول تم حصره وحفظه فى الوجود . . فهل يرى الإنسان عمله رؤيا العين ويسمع قوله كله بإذنه . . يوم القيامة . . ومن ثم فلا سبيل إلى انكاره ؟ . . أم أن بظهور الصورة لابد أن تتطابق الصورة مع صاحبها وبذلك لابد أن يقوم بتصوير ما عمله مرة أخرى . . وسواءً أكان سيراه . . أم يصوره مرة أخرى . . فإن ذلك سيتم أمام الله جل شأنه وأمام رسله . . وملائكته . . وأمام الناس جميعاً . . منذ آدم حتى نهاية الخلق . . يراه . . الأب والجد . . والوالد والحفيد . . والجار والبعيد والصديق والعدوُّ وقد قرر القرآن الكريم النتيجة النهائية وهى بالنص الشريف !

(وَكُلَّ إنسان أَلْزمنَاهُ طَائِرَهُ فى عُنُقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ كتَاباً يَلقَاهُ منَشُوراً . اقرَأْ كتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَومَ عَلَيْكَ حَسِيباً)

(١٣ – ١٤ سورة الإسراء)

ولا يمكن للإنسان أن يحاول مجرد المحاولة أن يتنصل من ذنب اقترفه . . أو خطأ ارتكبه . . بعد أن يرى الوجود نفسه يشهد عليه . . فقد سطر عمله وسجل قوله . . وكل ما عمله إنما ترك أثراً لا يمحى من مكانه . . وكل ما قاله قد نقش سطراً لا تزول ألفاظه . . وستتحدث

الأَرض عما عمله الناس وعما قالوه . . فعندما ما نزلت الآيات الشريفة :

(إِذا زُلزِلتِ الأَرضُ زِلزَالَهَا . وأَخرَجَتِ الأَرضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الإِنسانُ مَالَهَا . يوَمَئذ تُحَدِّثُ أَخبارَهَا)

(١ - ٤ سورة الزلزلة)

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَصحابه أَتدرون ما أَخبارها . . فاستوضحوه الأَمر ليقول إِن أَخبارها أَن تشهد على كل عبد أَو أمة عمل على ظهرها . .

ومن ثم فإن كل إِنسان لا يجادل فيما عمل . . ولا يتبرأ مما قال . . وبذلك فإنه يوقع على نفسه العذاب . . ويتخذ كل وسائله . . وذلك بالنص الكريم :

(فَيومَئذ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)

(٢٥ - ٢٦ سورة الفجر)

ومهما تخيل الإنسان قدر العدالة . . ومهما ظن من أَمرها . . فإن عدالة حساب يوم القيامة أَمر يختلف فإن . القانون[١] أَى قانون . . إنما يهدف أَولا . . إلى المساواة المطلقة بين الناس . . ويساوى فى حسابهم . . على الذنب الذى اقترفوه . . وكالفارق بين واضع

القانون . . وبين خالق الكون . . سبحانه . الفارق بين الحساب أمام القانون والحساب أمام الله . . فلا يتساوى اثنان اطلاقاً فى الحساب على ذنب واحد . . لاختلاف تفكيرهما ومعرفتهما . . وظروفهما . . وتصرفهما بعد الذنب . . فمن أذنب وهو يعلم أنه أذنب . . غير من يذنب وهو لا يعلم أنه يذنب

ومن أذنب ثم أصر على الذنب . . غير من يذنب ثم يستغفر الله ويتوب . . ومن أذنب وهو فى كامل عقله وتمام وعيه . . وبعد تفكير وروية . . غير من يذنب وهو فاقد بعض قدرته . . ومن أذنب مع من لا يجوز الذنب معه . . كالأب والأم . . غير من يذنب مع غيرهما . . ممن لا يرتبط بهم بأى رابطة . . الدم . . أو الأخوة . . فى الدين . . أو فى الوطن . . ومن أذنب مع ضعيف لا يستطيع الرد . . غير من يذنب مع قوى . . يستطيع أن يأخذ حقه . . ومن استغل حاجة الإنسان إليه . . فأذنب معه غير من أذنب بلا استغلال . . ومن أذنب مضطراً . . بلا طريق يستطيعه غير الذنب . . لا يمكن أن يتساوى مع من أذنب . . رغبة فى الذنب . . وهكذا فإن كل ذنب فى ظرف . . يغاير فى درجته الذنب فى ظرف آخر . فلكل حسابه . . ولكل ذنب تقدير معين . . على حسب عوامل كثيرة . . وأمور شتى . . ولذلك فإن شيمة الحساب يوم القيامة العدالة . . ولكنها ليست عدالة من جنس ما

نعلم . . ولا من طبيعة ما ندرى . . ولا بقدر ما نعرف . إنها عدالة الله جل شأنه . . عدالة تتسم بالرحمة . . والرحمة التى لا حدود لها . . فلو كان الحساب سيجرى يوم القيامة عدلا مطلقاً فكيف يطمع الإنسان . . أى إنسان . . فى الجنة ونعيمها . . وفى الآخرة وثوابها . . إن الله جل شأنه خلق الإنسان من لا شىء . . فهو وحده الذى أوجده من العدم . . لم يشترك الإنسان معه فى خلق نفسه . . بل بقدرته وعظمته . . خلقه متفضلا عليه . . ومحبة منه له . . فكم يستحق بذلك الخالق من شكر المخلوق . . ومحبته وعبادته . . ولذلك فإن الإنسان لو أفنى نفسه فى سبيل الله . . وأمضى حياته فى عبادة الله وشكره فقط . . فإنه لا يقدم شيئاً يستحق عليه أى أجر أو ثواب . . فقد خلقه الله من عدم ثم مات فى سبيل من خَلَقَه . . فالعدل المطلق . لا يجيز له أى ثواب . . ولا يمنحه أى أجر . . ولكن الإنسان لا يشكر الله حتى يجهد نفسه فيموت . . ولا يعبده حتى يفنى حياته . . بل الحقيقة أعجب وأغرب . . فإن الله جل شأنه . . لم يخلق الإنسان من عدم . . وتركه لنفسه . . يتصرف كيف شاء . . ويمارس الحياة كيف يتمكن . . بل خلق له الحواس العجيبة . . من نظر . . وسمع . . وشم . . وذوق . . ولمس ويَّسر له الحركة . . فهو يسير يميناً وشمالا . . ويتقدم ويتأخر . . ويلف ويدور . . وخلق له العقل

والوجدان . . ليفكر ويتدبر . . ثم أَرسل له الرسل والأَنبياء وأَنزل له الكتب المقدسة . . توضح له الطريق إلى السعادة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . . وأَحاطه بفيض من عنايته ورعايته . . خلق له النبات مختلفاً أَلوانه وأَشكاله وطعومه . . والطيور والحيوانات لتتعدد أصناف لحومها . . كل حاجاته المعيشية . . فى شكل جميل . . وطعم لذيذ . . متعددة . . متنوعة . . ليرضى فما أَرحمك ياربى . . تحرص على عبدك أَن يرضى . . ولا تجد منه ربى إلا الجحود . . والمعصية . . فكم نعصى الله . . سراً وعلانية . . وهو يرانا فى الحالين . . نعصاه فى الكبيرة . . ونصر على الصغيرة . . ترى بماذا تحكم العدالة المطلقة على الإنسان كله . . على النوع الإنسانى بأَسره . . ومهما كان تخيلك أَو رأَيك فإن عدالة الله من جنس آخر . . عدالة الرحمة . . عدالة الرحمن الرحيم . . فبمجرد أَن يتذكر الإنسان رحمة الله . . فيطمع فيها . . وبمجرد أَن يعلم الإنسان بمغفرة الله . . فيطلبها ويهرع إليها . . نجد الله جل شأْنه . . واسع الرحمة . . سريع المغفرة . . إن رحمة الله واسعة . . وإن مغفرة الله لشاملة . . أَليس هو القائل سبحانه وتعالى بالنص الشريف :

(قل يَا عِبَادِىَ الذينَ أَسرَفُوا عَلىَ أَنفُسهم لاَتَقنطُوا مِن رَحمة الله إنَّ الله يَغفِر الذُّنوبَ جَميعا إنهُ هُوَ الغَفورُ الرحيمُ)

(٥٢ سورة الزمر)

فمهما كان من إسراف الإنسان فى ذنوبه . . أو إسرافه فى الندم على ما كان منه . . أو إسرافه فى الخوف من الذنب الذى ارتكبه . . أو الحساب على ما فعله . . فإن اعتقاده بأنه من عباد الله . . يكون قد آمن بربه وشهد بواحدنية . . وطالما هو مؤمن بربه . . فلا يقنط من رحمة الله . . فإن الله يغفر ذنوب عباده جميعاً فهو الغفور الذى يغفر . . وهو الرحيم لأنه يغفر بهذا القدر . . كل هذه الذنوب . . لمن آمن بربوبيته وشهد بواحدانية وقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك (إن الله تعالى يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول ! أتنكر من هذا شيئاً ؟ . . أظلمك كتبتى الحافظون ؟ . . فيقول ! لا يارب . . فيقول : أفلك عذر ؟ . . فقال : لا يارب . . فيقول الله تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة . . فإنه لا ظلم عليك اليوم . . فتخرج بطاقة فيها . . أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك . . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات . . فقال : فإنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات . . وثقلت البطاقة . فلا يثقل مع اسم الله شيء) . . أو كما قال . .

أما الذين كفروا بالله . . وأشركوا به . . فإن ذلك ذنب يقيناً لا يغفر . . ولا يترك . . إذ كيف يغفر سبحانه وتعالى لمن لا يعتقد فيه . .

ولا يؤمن به . . فليذهب الكافر إلى من كان يؤمن به من البشر أو من الحجر . أو من الأشياء . . فهل يجد رحمة عند من يبحث عن الرحمة يوم لارحمة إلا لمن أراد به الرحمن فوزاً وخيراً . . وليذهب المشرك إلى من أشركه مع الله . . فهل يجد عنده مغفرة . . وهو يستجدى الغفران لنفسه . . ولذلك فإن القرآن الكريم يقول :

(إِنَّ الله لاَ يَغفِرُ أَن يُشرك بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُون ذَلكَ لمنَ يَشَاءُ)

(١١٦ سورة النساء)

هنا لابد من حساب بلا مغفرة . . وعدل بلا رحمة . .

ولا يمكن للإنسان أن يتحيل بعقله القاصر . . وتفكيره المحدود قدر عذاب الكافر . . والمشرك . . منذ اللحظة التى يرى فيها فظاعة ما اعتقد . . وبشاعة ما كان عليه . . ويتفكر . . كيف سيلقى الله . . وأى عذاب يقرره بنفسه على نفسه جزاء كفره وشركه . . قبل عذاب الملائكة . . له والناس . . والحجارة . . والخلق أجمعين . .

والمتدبر لأمر ذنوب العباد يجد أنها إما ذنوب لا تغفر وهى الكفر بالله أو الشرك به . . وذنوب بين العبد وربه . . وهى ذنوب تغفر إذ ما أوسع رحمة الله . . وذنوب ثالثة . .لابد من الحساب عليها فهى ناتجة من ظلم العباد بعضهم بعضا . . وفى هذه لابد أن ينال المظلوم حقه . .

من الظالم وقد أوضح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فى حديثه الصحيح الذى قال فيه (ذنب لا يغفر . . وذنب لا يترك . . وذنب يغفر . . فأما الذى لا يغفر فالشرك بالله عز وجل . . وأما الذى يغفر فذنب العبد بينه وبين الله . . وأما الذنب الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعض) أو كما قال

والفرصة سانحة ومتصلة للإنسان لينال المغفرة عن ذنوبه التى يقترفها فيما بينه وبين الله . . طالما مازال فى حياته . . يستطيع الأقلاع والتوبة . . فمن ترك العبادة فترة . . ثم تدبر حاله مع ربه . . لوجد أنه مذنب . . فى حق ربه . . وحق نفسه فكيف لايشكر من أوجده من عدم . . وييسر له حياته . . وكيف لا يعبده . . وفى عبادته لربه . . يتحقق صالح العبد . . فى الدنيا . . والآخرة . . فما تزيد عبادة الإنسان فى ملك الله شيئاً . وما ربك بحاجة إلى عبادة خلقه أجمعين . . ولكن العبادة . . التى أرادها الله . . إنما لصالح الفرد والجماعة . . فى الدنيا والآخرة . . فكيف لا يحرص الإنسان عليها . . وفيها كل هذا الخير الوفير . . والنعيم المقيم . . إن تارك العبادة . . إذا تذكر . . وندم . . واستغفر وبدأ العبادة . . غفر الله له ما سبق منه . . وما أيسر عبادة الله . . بأداء الفرائض الخمسة . . التى أثبت العلم أنها إنما شرعت للحفاظ على مؤديها . . جسدياً . . وعقلياً . . ونفسياً .

واجتماعياً والتى قرر الدين أَنها سبيل الرحمة والجنة فى الآخرة . .

ثم يقرر القرآن الكريم سبيلا كبيراً للرحمة والمغفرة . هو ذكر الله بالنص الشريف :

(وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ)

(٤٥ سورة العنكبوت)

وذكر الله . . ما أَسهله . . وأَيسره . . وما أَفضله . . إن أَى نظرة من الإنسان . . فى نفسه . . أَو فيما حوله . . ليجد قلبه . . ناطقاً يذكر الله . . ويجد نفسه تهفو . . إلى ذكر الله . . فإن كل ما نحن فى حاجة إليه . . النظر والتفكر والتأَمل . النظر إلى السماء وما فيها . . وإلى الأَرض وما عليها . . ثم التأَمل والتفكير . . هذه الوردة جميلة الشكل . . رائعة المنظر . . حلوة الرائحة . . كيف خُلقت . . وكيف من طين أَسود . . وماء عكر . . نبتت فلا هى أَخذت من الطين لونه . . ولا من الماء رائحته . . وأَنما أَخذت لوناً عجيباً . . ورائحة عطرة . . أَلا سبحان الله . . الخالق المبدع . . هذه النبتة الصغيرة . . وهذا الفرع الضئيل . . دنيا قائمة بذاتها . . فيها كل عجب . . فقد ثبت بالتجربة والبحث . . أَن النبات يغفو . . ويصحو . . وأَنه يحس . . ويشعر . . يستمع إلى الموسيقى فيتمايل طرباً وسروراً . .

وتزعجه الضوضاء والعجيج . . فتعلوه ظاهرة . علامات الأسف . . والألم . . تجده سعيداً . . بنزول الندى عليه . . باسماً فى ضوء القمر الجميل . . متجهماً . . فى الخريف العاصف . . كاسفا فى الليل البهيم . . إذا دخل عليه صديق . . يذكر الله . . ويشكر له حسن خلقه . . وجميل صنعه . . سعد وانتشى . وإذا دخل عليه الجاحد . . أو الكافر . . تألم وحزن . . وفى تجربة علمية مؤخراً أعلن العلماء أنهم بقياس التغيرات التى طرأت على نباتات إحدى البيوت الزجاجية بدخول أفراد البحث . . وجد أنه عندما دخل فرد بعينه وقطف الورد من هذه النباتات . . ودخل غيره . . فى جولة حانية عليها . . أصيبت النباتات فى اليوم الثانى بذعر واضطراب حيوى بمجرد دخول الفرد الذى يقطع الورود . . وبخروجه ودخول غيره ممن لا يقطعون الورود . . عادت للنباتات حالتها الطبيعية . . وعند دخل من يروى النباتات ويقتلع الحشائش من جوارها اختلفت حالات النباتات . . فأصابتها نشوة . . وارتفعت معنوياتها . . بزيادة عمليات الغذاء . . والبناء . . عندما يمر الإنسان ويرى أى نبتة صغيرة . . أو وردة ضئيلة . . ألا يجب عليه أن يتدبرها . . ويتفكر فى أمرها . . ثم ألا يتذكر بذلك خالقها . . ويشكره . . ويسبح بحمده . .

وهذا الطير . . كيف يطير . . يعلو ويهبط . . يعيش ويأتلف يعرف

أَنثاه رغم . . تشابه كل الإناث . . وتعرف الأُم صغارها . . دون أَن يختلط عليها الأَمر . . يحط الطير فى عشه . . رغم كثرة الأَعشاش فوق الشجر . . يعرف الطير طريقه . . فلا يضله أَبداً . . يهاجر من أقصى الشمال . . إلى أَبعد الجنوب . . فى فترات معينة . . ثم يعود إلى أَوطانه . . فى فترة أُخرى . . وتتحادث الطيور وتتفاهم . . وتلعب . . وتصمت تسعد . . وتيأَس . . ترى ما يسعدها ؟ . وما يثير الابتئاس فيها . . الله أَعلم . . أَلا يثير فى الإنسان وهو يحلق ببصره ويرى الطير . . رائحا غادياً . . ويحاول أَن يتابعه . . ذكر الله . . والتسبيح بحمده ؟

وهذا السمك . . يعيش فى الماء . . فى دنيا عجيبة . . غريبة رهيبة . . فيها النبات . . وفيها الجبال وفيها الوديان . . هذا السمك يحول الماء إلى هواء ليتنفس به ويموت إذا أُخرج إلى الهواء .

وهذا التعاقب فى الجو . . من حر . . إلى خريف . . ومن شتاء إلى ربيع . . ومن نهار إلى ليل . .

هذه النجوم . . وهذه الكواكب التى تفيض بها السماء . . كل واحدة أَكبر من الأرض . . مرات ومرات . . من يمسك كل هذه فى الفضاء . . ومن يقيم أَمرها . . إن كل مافى الوجود إنما يدفع الإنسان دفعاً إلى ذكر الله . . ورحمة الله تتجلى فى أَن يجعل أَسهل أُمور العبادة . وهى الذكر أكبرها قدراً . .

وحتى يتفهم الناس قدر مالذكر الله من فضل . . وما فيه من نعمة . . وما احتوته الآية الشريفة ذات الألفاظ الثلاثة التى تقرر أن ذكر الله أكبر . . فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . ؟ . ذكر الله . .) بل إن رحمة الله بالذاكرين . . تتسع حتى تشمل كل عابر سبيل . . جلس مع أهل الذكر . . ولو كان بغير مقصد . . وعن غير عمد . . ومجلس الذكر هو كل مجلس يتذاكر فيه الناس . . قدرة الله . . وعظمته . . ويتأملون جميل صنعه . . ويتواصون فيه بذكر الله . . هو كل مجلس يسند فيه أصحابه . . الأمر لله . . وليس لغير الله . . أى أمر . . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء . . يبتغون مجالس الذكر . . فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم . . وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء فإذا تفرقوا . . عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل . . وهو أعلم . . من أين جئتم ؟ . فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال : فما يسألونى . قالوا . . يسألونك جنتك قال . . وهل رأوا جنتى ؟ . .

قالوا : لا يارب . . قال : وكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا : ويستجيرونك . . قال : ومم يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك . . قال وهل رأوا نارى ؟ . . قالوا : لا يارب قالوا ويستغفرونك . . فيقول (قد غفرت لهم وأعطيتهم ماسألوا وأجرتهم مما استجاوروا فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطَّاءٍ إنما مر فجلس معهم . . فيقول . . وله قد غفرت . . هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .

وشاء سبحانه وتعالى أن يجعل رحمته من الاتساع والشمول بحيث يطمع فيها كل مخلوق . . ولا ييأس منها أى مذنب . . فيقول الحق سبحانة وتعالى فى آيات القرآن الكريم :

(وَرَحمتِى وَسِعَت كُلَّ شَىءٍ)

(١٥٦ سورة الاعراف)

وفى الحديث القدسى (سبقت رحمتى غضبى) .ولذلك ما أوسع سبل الرحمة . . وما أكثر طرق المغفرة . . فكل ما يعمله الإنسان من خير . . فمهما بدا . . ضعيفاً . . أو قليلا . . أو تافهاً . . فإن الله جل شأنه . . رحمة بعباده . . ومحبة لخلقه . . يغفر لهم به من ذنوبهم . . ويجد الإنسان يوم القيامة هذا الخير . . أصبح كبيراً . . وأجره عظيماً . . فيقول عز شأنه فى قرآنه الكريم :

(وَمَا تُقَدِمُوا لأَنفُسِكُم من خَيرٍ تَجِدُوه عِندَ الله هُوَ خَيراً وأَعظَمَ أَجراً)

(٢٠ سورة المزمل)

وفى ذلك يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأَخره فشكر الله له فغفر الله له) وقال (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأْكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بى ، فنزل البئر فملأً خفه ماءً ثم أَمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له) بل إن بالكلمة الطيبة يغفر الله للإنسان فينجيه من النار فيقول الحق جل شأْنه فى آيات القرآن الكريم

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّب وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

(١٠ سورة فاطر)

وفى ذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقـوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة) .

أَما ظلم العباد بعضهم بعضا . . وهى الذنوب التى لا تترك . . فإن العدل فى أَبسط صوره . . وأَول قواعده . . ليقضى بأَنه على كل من

تجاوز حقه . . واعتدى على حق غيره . . فإن عليه أن يرد هذا الحق . . ثم يعاقب على ما ارتكب وبذلك وجب على كل إنسان أن يرد ما عليه لغيره . . فوراً وبلا إبطاء . . وإن يستسمحه . . قبل يوم الحساب . . والمتدبر لحياة الإنسان . . يجد أنه لابد من تعامله مع غيره . . ومعايشته . . حتى الناسك فى صومعته . . يستلزم أمر حياته أن يلتقى بغيره . . زائراً . . أو عابراً لسبيل . . أو يلجأ لصاحب يدبر له حاجته المعيشية . . من غذاءٍ . . أوكساءٍ . . فما بالنا بالحياة العادية . . حيث ينهض الإنسان من نومه . . ليعامل . . أبيه وأمه . . وأخوته . . وأقاربه . أو زوجته وأولاده . . وكل من يعيش معهم . . من أجراءَ . . أو نزلاء . . ثم نجد جيرانه . . الأدنى . . فالأدنى . . ثم ينزل إلى الحياة . . ليشترى طلباته اليومية . . ثم يتعامل مع زملائه فى عمله . . ومع من يتعاملون معه من جمهور . . وأيا كان موضعه فى عمله . . فهو حلقة فى سلسلة تتم بها شئون الحياة . . والإنسان مهما كان عليه من حرص على غيره وتمسك بالحق . . فإنه يذنب بل ويجور فى الذنب . . فإذا ما تركنا السرقة . . والقتل . . وهتك الأعراض . . والإضرار بالناس . . والرشوة . . وأمثالها من الذنوب . . الكبيرة الواضحة . . التى لا تحتاج إلى بيان أو تفسير وجدنا الإنسان يرتكب ذنوباً عديدة . . ومتلاحقة . . ومتواصلة فهل أنت تعامل غيرك . .

بائعاً . . كما تعامله مشترياً . . وهل تكشف لغيرك عورات ما تبيع . . كما تحاول أنت أن تكتشف عورات ما تشترى . . ألا تطفف الكيل وتستوفيه عند الشراء . . وتجتهد عند البيع ألا تعطى إلا ما هو إلى الأقل . . هل تعامل مرؤوسيك الصغار . . كما تعامل رؤسائك . . ؟ وغداً سيصبح كل هذا الجمع من المرؤوسين والرؤساء إلى تراب فى قبورهم . . ثم يبعثون وقد اختلفت درجاتهم . . وتغيرت أحوالهم . . فترى كيف سنعاملهم ؟ . وكيف يتقبلون معاملتنا ؟ . . وكيف نجيب يوم الحساب عما فعلنا معهم وبهم ؟ وهل فكرنا فيما سجل علينا من سب وشتم وقذف فى حق غيرنا . . فى غيبته . . وكيف سنواجهه يوم القيامة ؟ . . وهو يستمع إلى قولنا . . إن كل كلمة . . وكل همسة . . وكل عدوان على حق الغير . . مهما كان . . لابد أن يقتضيه يوم القيامة منا . . ثم بعد الاقتضاء لابد من العذاب . . إلا إذا عفا صاحب الحق . . فعلينا إذا أن نبادر بتصفية الحسابات المتشعبة المتعددة . . المتعلقة بنا . . وبغيرنا . . فهذه ذنوب لا تترك وما أفظع ما نرى يوم القيامة . . وقد تكاثرت الناس على الفرد تأخذ حقوقها مهما كانت بسيطة . . تأخذ حقوقها بحسنات منه . . فإذا انتهت حسناته . . أخذت حقوقها عن طريق سيئات يحملها المدين . . عن الدائن . . وبديهى أن قدر الحسنات . . يتناسب وقدر الذنب . . فيصبح

الإنسان وقد أَفلس من كل الحسنات . وحمل سيئاته . . وسيئات غيره . . وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك لصحابته (أَتدرون من المفلس ؟ . . إن المفلس من أَمتى من يأْتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . . ويأْتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وَسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته . . وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أَن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار) .

ويشاءَ الله الرحمن الرحيم إلا أَن يشمل الإِنسان برحمته . مهما كان منه من ذنوب . . مع غيره فطالما أَن الإِنسان قد تسامح مع غيره . . ورد له حقوقه . . أَو عفى عنه . . فإن الله لأَكثر تسامحاً وأَشد عفواً وأوسع مغفرة مما نعتقد . . وأَعظم رحمة مما نتخيل . . فإنه يغفر ما كان من العبد . . ويرفع عنه العذاب . . طالما قد تاب . . وأَناب . . وتحلل من حقوق . . غيره عنده . . يردها إن كانت فيما يرد . . كالمال والمتاع والماديات الأُخرى . . أو بطلب العفو من صاحبها إن لم تكن مما لا ترد . . كالقول الفاحش . . أو ظن السوءِ . . أَو الغيبة وأَمثالها . . أَو الندم والاستغفار والدعاء لصاحب الحق . . إن لم يستطع طلب المسامحة منه . . لموت صاحب الحق . . أَو اغترابه . . أَو لسبب آخر . . وعند القيامة . . يتولى الله جل شأْنه . . السداد لصاحب الحق . . عن

العبد التائب . . الذى بدل الله سيئاته حسنات . . ومن يسد عنه الله . . ما أَغناه . . وما أَسعده . .

وبذلك فإن الذنوب التى بين العبد والله . . يغفرها الله سبحانه وتعالى لأَى سبب . . وعلى أَهون سبب . . إذاً فلناخذ فى أَسباب المغفرة . . ولنبدأ بها فوراً . . وحالا . . والذنوب التى بين العبد والناس . . يتولى الله جل شأْنه عن عبده الذى تاب وأَناب . . واستسمح صاحب الحق فيها . . السداد عنه . . فلنتسامح . . ولنعفو . . ونطلب من غيرنا العفو . . ونتوب إلى الله . . توبة . . كاملة . . ولتكن الآن . . وفى هذه اللحظة . . وقبل أَن تختم الأَعمال . . وتنتهى الأَقوال . .

وهكذا . . حساب الله . . سبحانه وتعالى . . حساب برحمة . وأَما رحمته . . فرحمة بلا حساب . .

(وقل ربِّ اغْفر وَارحَم وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحمينَ)

(١١٨ سورة المؤمنون)

صدق الله العظيم

رقم الإيداع ٣٨٨٢ / ٨٠

مطبعة نهضة مصر

هذا الكتاب

عن يوم القيامة للكاتب الإسلامى المعروف الأستاذ عبد الرزّاق نوفل درّة فى سلسلة كُتبه العلمية الإسلامية التى يخاطب بها عقول وقلوب أجيال اليوم والغد بأسلوبِ العِلم والدّين

وإنى إذ أفخر بتقديم هذه الطاقة من نور الإيمان للقرّاء فإنّما هى دعوة لى ولهم لتدبر اليوم الذى لاريبَ فيه ولا مفرّ منه .. حتىّ نحسِن العمَل فيتحقق لنا الأمَل فى رحمَة الله ومغفرتِه يوم القيامه.

والله ولى التوفيق ،،

الناشر

مصطفى حنفى

الثمن ١٢٠ قرشا أو ما يعادله

ال
المركز ا
للنشر
جمهورية مص
ميدان ال
تليفون ٩٢٠٣٥٠ ...